الفتح الرباني

في حكم قراءة القرآن

بألحان الأغاني

تأليف

أبي أحمد ناصر بن عبد الله بن أحمد أبو غزالة
مدرس القراءات بالأزهر الشريف
ومدرس التجويد بمعهد الفرقان لإعداد الدعاة
والمقرئ بالقراءات العشر الكبرى وتحريراتها
وعضو نقابة القراء المصرية





مؤسسة بينونة للنشر والتوزيع

الفتح الرباني

في حكم قراءة القرآن

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م



مؤسسة بينونة للنشر والتوزيع

دولة الإمارات العربية المتحدة - أبوظبي

ص.ب: ٥٠٤٠٣ - فاكس: ٠٠٩٧١٢٨٨٤٤٠٧٧

ركن بينونة للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

ت: ٠٥٤١٣٤٢١٩٣

الفتح الرباني

في حكم قراءة القرآن بألحان الأغاني

تأليف
أبي أحمد ناصر بن عبد الله بن أحمد أبو غزالة
مدرس القراءات بالأزهر الشريف
ومدرس التجويد بمعهد الفرقان لإعداد الدعاة
والمقرئ بالقراءات العشر الكبرى وتحريراتها
وعضو نقابة القراء المصرية



مؤسسة بينونة للنشر والتوزيع



مُقَدِّمَة

إِنَّ الحَمدَ للهِ، نَحمَدُهُ، وَنَستَعينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعوذُ باللهِ مِن شُرورِ أَنفُسِنا وَمِن سَيِّئاتِ أَعمالِنا، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلا هادِيَ لَهُ.

وَأَشهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عِمران: ١٠٢].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النِّساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

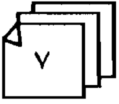
أمَّا بَعدُ:

فَإِنَّ أَصدَقَ الحَديثِ كِتابُ اللهِ، وَخَيرَ الهَدي هَديُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمورِ مُحدَثاتُها، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ في النَّارِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعدُ:

فالقرآنُ العظيمُ كتابُ اللهِ أَنزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ وأَمَرَنَا بِقِرَاءتِهِ وتَدَبُّرِهِ والعَمَلِ بِأَحكَامِهِ فَهُوَ شَرِيعَتُنَا ومُعجِزَةُ نَبِيِّنَا وَمِن ثَمَّ حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى بِنَفسِهِ ولَم يَكِلهُ إِلَى البَشَرِ كَمَا حَدَثَ مَعَ التَّوراةِ والإنجِيلِ والزَّبُورِ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩] فَكَانَ مِن ضِمنِ حِفظِهِ حِفظُ نُطقِهِ وَكَيفِيَةِ قِرَاءَتِهِ فَسَخَّرَ اللَّهُ العُلَمَاءَ فَقَامُوا بِوَضعِ ضَوَابِطَ وَقَوَاعِدَ يُتَوَصَّلُ بِهَا إلى النُّطقِ السَّلِيمِ دُونَ شَائِبَةِ تَغيِيرٍ لِمَا كَانَ عَلَيهِ أَيَامَ الرَّسُولِ ﷺ وَلَمَّا تَقَادَمَ الزَّمَانُ وَاختَلَطَ العَرَبُ بِالعَجَمِ وَنَبَتَ فِي الإسلَامِ مَن هُوَ لِلسَّلَفِ نَاكِرٌ وَلِطَرِيقَتِهِم جَاحِدٌ ظَهَرَ التَّغَنِّي وَكَانَ بِدَايَةُ هَذِهِ البِدعَةِ فِي أَوَاخِرِ القَرنِ الثَّانِي الهِجرِيِّ حَيثُ قَرَأَ عُبَيدُ اللهِ بنُ أَبِي بَكرَةَ بِالأَلحَانِ وَوَرِثَ ذَلِكَ عَنهُ ابنُ ابنِهِ عُبَيدُ اللهِ بنُ عُمَرَ وَلَكِنَّ الأَمرَ لَم يَخرُج عن التَّحسِينِ وَالتَّرَنُّمِ وَاستِقَامَةِ النَّغَمِ إِلَى أَن جَاءَ مُحَمَّدُ بنُ سَعِيدٍ التِّرمِذِيُّ فَأَدخَلَ فِي القِرَاءَةِ الأَلحَانَ المُوَلَّدَةَ عَلَى أَوزَانِ الغِنَاءِ وَكَانَ أَوَّلُ مَا غُنِّيَ مِنَ القُرآنِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ [الكهف: ٧٩] فَمَا كَانَ مِنَ العُلَمَاءِ إِلَّا أَنَّهُم هَجَرُوهُ وَكَذَاكَ هَجَرُوا كُلَّ مَن سَارَ عَلَى ضَربِهِ كَالكَرمَانِيِّ وَالهَيثَمِ وَظَلَّ هَذَا دَأبُ الأَسلَافِ كُلَّمَا ظَهَرَ مِنهُم جِيلٌ هَجَرُوهُ وَرَدُّوهُ.

وَكَانَ مِمَّا ابتُلِيَت بِهِ الأُمَّةُ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ مَا يُسَمَّى بِالقِرَاءَةِ بِالمَقَامَاتِ المُوسِيقِيَةِ وَظَهَرَ في هَذَا الزَّمَانِ مَن يَقرَأُ القُرآنَ على القَانُونِ المُوسِيقَائِيِّ وَيَفعَلُ فِي قِرَاءَتِهِ كَمَا يَفعَلُ أَهلُ الغِنَاءِ بِغِنَائِهِم وَاستَدَلُّوا بِأَحَادِيثَ يَفهَمُونَهَا

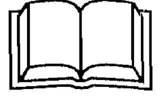


عَلَى أَهوَائِهِم لَا يَتَقَيَّدُونَ فِيهَا بِفَهمِ الأَسلَافِ فَكَانَ لِزَامًا عَلَينَا أَن نُبَيِّنَ حُكمَ هَذَا الأَمرِ وَفَهمَ السَّلَفِ لِهَذِهِ الأَحَادِيثِ فَقُمتُ بِعَونِ اللهِ بِوَضعِ هَذِهِ الوُرَيقَاتِ راجيًا من اللهِ أن ينفعَ بها من يقرأُها وأن تكونَ عونًا على توضيحِ منهاجِ النبوةِ في قراءةِ القرآنِ

وأرجو الله أن يوفقني لما يحبه ويرضاه ويجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم إنه هو البر الرحيم.

كتبه
أبو أحمد ناصر بن عبد الله بن أحمد أبو غزالة
مدرس القراءات بالأزهر الشريف
المناشي /الجيزة/مصر





نَشأَةُ القِراءَةِ بالألَحانِ

كانت قراءةُ الرسولِ ﷺ وكذا أصحابِهِ سَهلَةً عَذبَةً خَالِيَةً مِنَ الألَحانِ وكانَ منهم مَن صُوتُهُ حَسَنٌ كأبي مُوسَى الأشعريِّ وأُسيدِ بنِ حُضير وسَالِمٍ مَولَى أبى حُذَيفَةَ.

وظَلَّ الأَمرُ عَلَى هذا النَّحوِ حَتَّى القَرنِ الثَّانِي الهِجرِيِّ فَظَهَرَ أَبُو حَاتِمٍ عُبَيدُ اللهِ بنُ أَبِي بَكرَةَ(١) فَقَرَأَ القُرآنَ بِالتَّلحِينِ وتَبِعَهُ عَلَى ذلكَ نَجلُ ابنِهِ عُبَيدُ اللهِ بنُ عُمَرَ وَتُنسَبُ إِلَيهِمَا القِرَاءَةُ فَيُقالُ قِرَاءَةُ العُمَرَينِ وَأَخَذَ مِنهُ الأَبَاضِيُّ الأَلحَانَ.

وَفِي عَصرِ الدَّولَةِ العَبَّاسِيَّةِ نَمَا الأَمرُ وازدَهَرَ فِي عَصرِ هَارُونَ الرَّشِيدِ فَكَانَ الرَّشِيدُ مُعجَبًا بِقِرَاءَةِ سَعِيدٍ العَلَّافِ وأَخِيهِ وَكَانَ يُعطِيهِ وَكَانَ يُعرَفُ بِقَارِئِ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ والعَلَّافُ أَخَذَ القِرَاءَةَ عَنِ الأَبَاضِيِّ.

وكَذَلِكَ كَانَ الهَيثَمُ وَأَبَانُ وابنُ أَعيَنَ يُدخِلُونَ أَلحَانَ الغِنَاءِ وَالحُدَاءِ فِي القِرَاءَةِ ثُمَّ إِنَّ مُحَمَّدَ بنَ سعيدٍ التِّرمِذِيِّ قَرَأَ القُرآنَ عَلَى الأَلحَانِ المُوَلَّدَةِ مِن أَلحَانِ الغِنَاءِ فكانَ هَؤُلاءِ مهجُورِينَ عِندَ العُلَمَاءِ.

---

(١) عبيد الله بن أبى بكرة الثقفى أبو حاتم أمير سجستان من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل البصرة وهو ابن صاحب النبي ﷺ أبي بكرة نفيع بن الحارث. ولد سنة أربع عشرة، وكان كريمًا جوادًا. روى عن: أبيه، وعلي بن أبي طالب. روى عنه: سعيد بن جمهان، ومحمد ابن سيرين، وغيرهما. وقد ولي قضاء البصرة وولاه الحجاج إمرة سجستان وهو أول من قرأ القرآن بالألحان. توفي سنة تسع وسبعين بسجستان.

قَالَ ابنُ قُتَيبَةَ في «المعارف» (٢/ ٤٦١ ـ ٤٦٢):

«وكَانَ القُرَّاءُ كُلُّهم: الهَيثَمُ وَأَبانُ وابنُ أَعيَنَ وغَيرُهُم يُدخِلُونَ فِي القِرَاءَةِ مِن أَلحَانِ الغِنَاءِ والحُدَاءِ والرَّهبَانِيَّةِ فَمِنهُم مَن كَانَ يَدُسُّ الشَّيءَ مِن ذلكَ دَسًّا رَقِيقًا ومِنهُم مَن كَانَ يَجهَرُ بِذَلِكَ حَتَّى يَسلَخَهُ فَمِن ذَلِكَ قِرَاءَةُ الهَيثَم: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الكهف: ٧٩] سَلَخَهُ مِن صَوتِ الغِنَاءِ كَهَيئَةِ:

أمّا القَطاةُ فإنّي سوف أنعَتُها نَعتًا يُوافِقُ نَعتي بعضَ ما فيها[(١)]

وكان ابنُ أَعيَنَ يُدخِلُ الشيءَ ويُخفِيهِ حتى كان الترمذيُّ محمدُ بنُ سعيدٍ فإنه قرأ على الأغاني المولَّدةِ المحدَثَةِ سَلَخَهَا في القراءةِ بأعيانها».اهـ.

وَظَهَرَ فِي العَصرِ الحَدِيثِ مَن يُطلِقُ عَلَى أُسلُوبِ القرآنِ مُوسيقَى القرآنِ وهذا مُصطَلَحٌ مُبتَدَعٌ يُسَوِّي القرآنَ كلامَ اللهِ بالغناءِ فَيَجِبُ العُزُوفُ عَنهُ ولا يَغتَرُّ القَارِئُ بِكَلَامِ أمثال عَبدِ الوَهَّابِ حَمُّودَةَ وَلَبِيبِ سَعِيد وابني قُطبٍ والسَّعدَانِّيّ.

وَظَهَرَ جِيلٌ مِنَ القُرَّاءِ يُقَلِّدونَ المُغَنِّينَ وَالمُلَحِّنِينَ وَيَسِيرُونَ عَلَى دَربِهِم

---

(١) البيت عروضه من البسيط واختلف في قائله ونسبه الخليل (٢/ ٧٣) لامرئ القيس وبعده:

سكّاء مخطوبةٌ في ريشها طرقٌ سودٌ قوادمها صهبٌ خوافيها
منقارها كنواة القسب قلّمها بمبردٍ حاذق الكفّين باريها
تمشي كمشي فتاة الحيّ مسرعة حذار قومٍ إلى سترٍ يواريها
تسقي الفراخ بأفواهٍ مرقّقةٍ مثل القوارير سدّت من أعاليها
كأن هيدبة من فوق جؤجئها أو جرو حنظلةٍ لم يعد راميها

قال النويري في «نهاية الأرب» (١٠/ ١٥٩): «قال شاعر يصف القطاة، واختلف في الشاعر من هو، فقيل: هو أوس بن غلفاء الهجيميّ، وقيل: مزاحم العقيلي، وقيل: العباس بن يزيد بن الأسود الكنديّ، وقيل: العجير السّلوليّ، وقيل: عمرو بن عقيل بن الحجّاج الهجيميّ؛ قال أبو الفرج الأصفهانيّ: وهو أصحّ الأقوال» ثم ذكر الأبيات السابقة.

فالقارِئ الفلاني... يسير عَلَى درب عَبده الحَمُولِيّ وَالقَارِئ الفلاني... يَستَمِعُ إِلَى عَباقِرَةِ المُوسِيقَى وَأَخَذَ عنهُم طَرِيقَتَهُ فِي القِراءَةِ وَهَا هُوَ القارِئُ الفلاني... يُلَحِّنُ وَيُغَنِّي القُرآنَ إِلَى دَرَجَةِ أَنَّ منهُم من يَقرَأُ القُرآنَ وَهُوَ يضرب عَلَى عُودٍ أَو جِيتَارٍ أَو بِيَانُو وَإِذَا نَظَرتَ إِلَيهِم وَهُم يَقرَءُونَ تَجِدُ أَنَّهم كالمغنيين يحذون حذوهم لا يحيدون عن طريقتهم قيد أنملة فيشبهون كلام الرحمن بكلام الشيطان ويخرجون القراءة من الخشوع إلى الطرب وإلى الله المشتكى.

وظهر أيضًا في هذا العصرِ من يُطَالِبُونَ بِتَلحِينِ القُرآنِ عَلَى الآلاتِ الموسيقية ومن يفسرونه تفسيرًا موسيقيًّا.

وأصبح الشغل الشاغل لقارئِ القرآنِ تحصيل النَّغَم بل أصبحت هناك مدارسُ في النَّغَم: مدرسة القارئ الفلاني ومدرسة القارئ الفلاني وهذا القارئ يقرأ بالسيكا والآخر يقرأ بالصبا والثالث يقرأ بالحجاز وأصبح الهدف الأول للقارئ أن يَركَبَ مقامةً معينةً ويسير في مراحلها ابتداءً بالقَرَارِ وانتهاءً بجَوَابِ الجَوَابِ ومرورًا بالجواب.

والقرار: انخفاض في عدد اهتزاز النبرات الصوتية ويسمى عند أهل الغناء بالجواب الموسيقي.

والجواب: ازدياد نسبي في عدد اهتزاز النبرات الصوتية، ويسمى عند أهل الغناء السؤال الموسيقي.

وجواب الجواب: أعلى طبقة صوتية قد يصل لها القارئ بعد الجواب.

ولكي نتحدث عن حكم قراءة القرآن بالألحان فعلينا أولا أن نقدم بين يدي ذلك مقدمات مهمة والله المستعان.



المقدمة الأولى

(القرآن كلام الله)

القرآنُ كلامُ اللَّهِ، منزلٌ غيرُ مخلوقٍ، منه بدأ[1] وإليه يعود.

---

(١) وفي قول سلفنا: «منه بدأ» ردًا على الجهمية والمعتزلة ومن على شاكلتهم لأنهم كانوا يقولون إنَّ اللهَ خَلَقَ الكلامَ فِي مَحل، فَبَدَأَ الكلامُ من ذلك المحل

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى الكبرى» (٥/ ٣٩): «وليسَ معنى قولِ السَّلفِ وَالأَئمَّةِ «إِنَّهُ مِنهُ خَرَجَ وَمِنهُ بَدَأَ»: أَنَّهُ فَارَقَ ذَاتَه وَحَلَّ بِغيره، فَإِنَّ كَلام المَخلُوق إِذَا تَكَلَّمَ بِهِ لاَ يُفَارِقُ ذَاتَه وَيَحِلّ بِغَيرِه، فَكَيفَ يَكُونُ كَلامَ اللَّهِ قَالَ تعالَى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥] فَقَد أَخبَرَ أَنَّ الكَلِمَةَ تَخرُجُ مِن أَفوَاهِهِم، وَمَعَ هَذَا فَلَم تُفَارِق ذَاتَهم. وَأَيضًا فالصِّفَةُ لاَ تُفَارِقُ المَوصُوفَ وَتَحِلُّ بِغَيره، لاَ صِفَةُ الخَالِقِ وَلاَ صِفَةُ المَخلُوقِ، وَالنَّاسُ إِذَا سَمِعُوا كَلاَمَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ بَلَّغُوهُ عَنهُ، كَانَ الكَلامُ الَّذِي بَلَّغُوهُ كَلامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَد بَلَّغُوهُ بِحَرَكَاتِهِم وَأَصوَاتِهِم، فَالقرآن أولى بذلِك فالكلامُ كلامُ البَارِي، وَالصَّوتُ صَوتُ القَارِئ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وَقَالَ ﷺ: «زيِّنُوا القُرآن بِأَصوَاتِكُم». وَلكِنَّ مَقصُودَ السَّلَفِ الرَّدُّ عَلَى هَؤُلاَءِ الجَهمِيَّةِ، فَإِنَّهُم زَعَمُوا أَنَّ القُرآنَ خَلَقَهُ اللَّهُ فِي غَيرِه فَيَكُونُ قَد ابتَدَأَ وَخَرَجَ مِن ذَلِكَ المَحَلِّ الَّذِي خَلَقَ فِيهِ لاَ مِن اللَّهِ، كَمَا يَقُولُونَ: كَلاَمُهُ لِمُوسَى خَرَجَ مِن الشَّجَرَة، فَبَيَّنَ السَّلَفُ وَالأَئمَّةُ أَنَّ القُرآنَ مِن اللَّهِ بَدَأَ وَخَرَجَ، وَذَكَرُوا قَولَهُ: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السجدة: ١٣]. فَأَخبَرَ أَنَّ القَولَ مِنهُ لاَ مِن غَيرِهِ مِن المَخلُوقَات، «وَمِن» هي لابتداء الغاية»اهـ.

وقال كما في «مجموعة الرسائل» (٣/ ١٦٣): «ولا يَجوزُ أن يُقال: إنّ كلامَ اللَّه فارق ذاته وانتقل إلى غيره. بل يُقالُ كما قال السَّلفُ: إنَّهُ كلامُ اللَّه غيرُ مخلوقٍ منهُ بدأ وإليه يعودُ. فقولُهُم: «منهُ بدأ» رَدٌّ على من قال: إنَّهُ مخلوقٌ في بعضِ الأجسام ومن ذلك المخلوق ابتدأ. فبيَّنوا أنَّ اللَّهَ هُوَ المُتكلِّمُ به «مِنهُ بَدأ» لا من بعضِ المخلُوقات «وإليه يعودُ» أي فلا يبقَى فِي الصُّدورِ مِنهُ آيَةٌ وَلا فِي المَصَاحِفِ حَرفٌ وأمَّا القُرآنُ فهو كَلامُ اللَّه». اهـ.

قال الشيخ هراس في «شرح العقيدة الواسطية» (١٩٩): «وأَمَّا مَعنى قولِ السَّلفِ: «مِنهُ بَدَأَ وَإِلَيهِ يَعُودُ»؛ فَهُوَ مِنَ البَدءِ؛ يَعنِي: أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي تَكلَّمَ بِهِ ابتِدَاءً، لَم يُبتَدأ من غيرِهِ، وَيَحتَمِلُ أَن يَكُونَ مِنَ البُدُوِّ؛ بِمَعنَى الظُّهورِ؛ يَعنِي أَنَّهُ هُوَ الَّذِي تَكلَّم بِهِ وَظَهَرَ مِنهُ، لم يَظهَر مِن غَيرِهِ». اهـ.

فابتداءُ نزولِهِ من الله سبحانه، وإليه يعود قبل يوم القيامة حيث يرفع القرآن في آخر الزمان فَلَا يَبقَى فِي الصُّدُورِ مِنهُ كَلِمَةٌ وَلَا فِي المَصَاحِفِ مِنهُ حَرفٌ إيذانا بقيام القيامة أو إليه يعود ينسب إليه، تكلم به حقيقة حروفه ومعانيه، ليس كلامه الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، تكلم الله به قولا وأنزله على نبيه وحيًا، وسمع منه جبريل وبلغ جبريل رسول الله محمدًا ﷺ وسمع من جبريل رسول الله ﷺ، وتحدى به النبي ﷺ الثقلين وسمع الصحابة من الرسول ﷺ.

والله تعالى تكلم بصوت يسمع، فالله يتكلم متى شاء كيف شاء بما شاء بكلام حقيقي مسموع بحروف وصوت لا يشبه أصوات المخلوقين. فكما أن له ذاتا لا تشبه الذوات، فكذا صفاته لا تشبه الصفات وكذلك صوته لا يشبه صوت أحد من خلقه، ونحن نتكلم بالقرآن بأصواتنا، فأصواتنا مخلوقة ولكن كلام الله تعالى غير مخلوق.

وليس القرآن حكاية عن كلام الله، ولا عبارة عن كلام الله، كما يزعم المبتدعة.

فهو وإن خط بالبنان وتلي باللسان وحفظ بالجنان وسمع بالآذان وأبصرته العينان لا يخرجه ذلك عن كونه كلام الرحمن، فالأنامل والمداد والأقلام والأوراق مخلوقة، والمكتوب بها غير مخلوق والألسن والأصوات مخلوقة، والمتلو بها على اختلافها غير مخلوق، والصدور مخلوقة والمحفوظ فيها غير مخلوق، والأسماع مخلوقة والمسموع غير مخلوق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨﴾ [الواقعة: ٧٧،٧٨]، وقال تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٤٩﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

فالقرآن ابتداء نزوله من الله سبحانه، فمنه بدأ لم يأخذه جبريل من

اللوح المحفوظ كما يقوله أهل الضلال، ولم يكن من كلام جبريل ولا محمد الأمين ﷺ، إنما هو من كلام رب العالمين. وأما جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام فهما مبلغان عن الله ﷻ، فالكلام إنما يقال ويضاف لمن قاله مبتدأ، لا من قاله مبلغًا ومؤديًا.

فالدليل على أن القرآن كلام الله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

والدليل على أن كلام الله غير مخلوق أن الله أضافه إلى نفسه قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وجعله من فعله فقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] والكلام صفة المتكلم ليس شيئًا منفصلًا عنه.

والدليل على أنه منزل من الله قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾ [غافر: ٢] وقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢].

والدليل على أن الله يتكلم متى شاء بما شاء قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] أخبر الله تعالى أن تكليمه لموسى عليه السلام حصل بعد مجيئه وأنه حصل من موسى عليه السلام سؤال فأجابه الله بوقته.

والدليل على أن الله تكلم بحرف قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران: ٥٥].

والدليل على أنه صوت قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ۝٥٢﴾ [مريم: ٥٢]. وقوله: ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦﴾ [النازعات: ١٦] والنداء والمناجاة لا يكونان إلا بصوت.

والدليل على أنه لا يشبه أصوات المخلوقين قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وكلام الله ﷻ من صفاته الذاتية باعتبار أصله ومن صفاته الفعلية باعتبار آحاده لأنه يتعلق بمشيئته.

ومن قال القرآن أو شيء من القرآن مخلوق فهو كافر؛ لأن القرآن كلام الله تعالى منه بدأ وإليه يعود، وكلامه صفته، ومن قال شيء من صفات الله مخلوق فهو كافر مرتد(١).

والقرآن الكريم المعجزة الكبرى الخالدة لنبينا محمد ﷺ وهو آخر الكتب المنزلة على الرسل؛ لا ينسخ ولا يبدل، وقد تكفل الله بحفظه من أي تحريف، أو تبديل، أو زيادة، أو نقص إلى يوم يرفعه الله تعالى قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

وأهل السنة والجماعة (السلف الصالح) يهتمون بتعليم القرآن وحفظه، وتلاوته، وتفسيره، والعمل به. قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٢٩﴾ [ص: ٢٩].

ويتعبدون لله تعالى بقراءاته، على الوجه المشروع بقراءة سلسة عذبة سهلة بلا تنطع ولا تكلف ولا تشدق. قالَ ابنُ القيمِ في «إِغَاثَةُ اللَّهفانِ» (٣٠٨/١):

«والمقصود: أن الأئمة كرهوا التنطع والغلو في النطق بالحرف ومَن

(١) ومن أراد الاستزادة في مسألة القرآن كلام الله غير مخلوق فليراجع كتب اعتقاد أهل السنة مثل:
أصول السنة للإمام أحمد بشروحها، وكتاب التوحيد لابن خزيمة، وكتاب التوحيد لابن منده، وكتاب التوحيد للطبري وأصول السنة لأحمد بن حنبل وكتاب السنة لعبد الله بن أحمد وكتاب السنة للخلال، وكتاب السنة لابن أبي عاصم، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة العكبري، واعتقاد أئمة الحديث لأبي بكر الإسماعيلي والإيمان لأبي عبيد بن سلام، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث لشيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني، ومجموع الفتاوى والفتاوى الكبرى ومجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية وتهذيب عقيدة أهل السنة للعثيمين، تهذيب شيخنا الدكتور رسلان.

تَأمَّلَ هَديَ رسولِ اللهِ ﷺ وإقرارَهُ أهلَ كُلِّ لِسانٍ على قِراءَتِهِم، تبيَّنَ لهُ أنَّ التَّنطُّعَ، والتَّشدُّقَ، والوَسوسَةَ في إخراجِ الحروفِ، ليسَ من سُنَّتِهِ».

ويفسرون القرآن بالقرآن وبالسنة، ثم بأقوال الصحابة، ثم بأقوال التابعين، ثم باللغة العربية التي نزل بها القرآن العظيم.

ولا يجوزون تفسير القرآن بالرأي المجرد؛ فإنه من القول على الله - بغير علم.

ويعربون القرآن مراعاة للمعنى الذي أراده الله ورسوله فلا يجعلون كلام الله تعالى كشعر زهير وعنترة وامرئ القيس والأعشى يحملونه أوجها كثيرة لا تليق به.

فأهل السنة لا يسلكون في إعرابه إلا الحمل على أحسن الوجوه، وأبعدها من التكلف، وأسوغها في لسان العرب.

فإذا كان القرآن كلام الله فلا بد من مراعاة قدسيته فينزه عن مشابهة الغناء من القراءة على إيقاعات وألحان الموسيقى ويحذر من قراءته بالتكلف والتنطع والتشدق، وكذا لا يحمل إعرابه إلا على أحسن الوجوه.



المقدمة الثانية

(قراءة القرآن عبادة)

من المتقرر لدى كل موحد أن العبادة عبارة عن أقوال وأفعال مشروعة يتقرب بها العبد إلى ربه قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالته «العبودية» (٦) «العِبَادَةُ: هِيَ اسمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرضَاهُ: مِن الأَقوَالِ وَالأَعمَالِ البَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ فَالصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالصِّيَامُ وَالحَجُّ وَصِدقُ الحَدِيثِ وَأَدَاءُ الأَمَانَةِ؛ وَبِرُّ الوَالِدَينِ وَصِلَةُ الأَرحَامِ وَالوَفَاءُ بِالعُهُودِ وَالأَمرُ بِالمَعرُوفِ وَالنَّهيُ عَن المُنكَرِ...».

فكل ما يتقرب به العبد إلى ربه على الوجه المشروع فهو عبادة والعبادات منها ما يتعلق بالقلب ومنها ما يتعلق باللسان ومنها ما يتعلق بالأركان وقراءة القرآن عبادة من العبادات التي تتعلق بعمل اللسان قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر: ٢٩] وقال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

رَوَى الإمام مُسلِمٌ (٨٠٤) عن أَبي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«اقرَءُوا القُرآنَ، فَإِنَّهُ يَجِيءُ يَومَ القِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصحَابِهِ، اقرَءُوا البَقرَةَ وَآلَ عِمرَانَ فَإِنَّهُمَا الزَّهرَاوَانِ، يَأتِيَانِ يَومَ القِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَو كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَو كَأَنَّهُمَا فِرقَانِ مِن طَيرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَن صَاحِبِهِمَا، اقرَءُوا سُورَةَ البَقَرَةِ فَإِنَّ أَخذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَركَهَا حَسرَةٌ وَلَا تَستَطِيعُهَا البَطَلَةُ»**. قَالَ مُعَاوِيَةُ: البَطَلَةُ: السَّحَرَةُ.

وروَى أيضًا (٢٦٩٨) عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «... **وما اجتمَعَ قَومٌ فِي بَيتٍ مِن بُيُوتِ اللَّهِ يَتلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيتَدارَسُونَهُ بينَهُم إلاَّ نَزلت عَلَيهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتهُمُ الرَّحمَةُ وَحَفَّتهُمُ المَلائِكَةُ وَذكرَهُمُ اللَّهُ فِيمَن عِندهُ**...».

فإذا ثبت أن قراءة القرآن عبادة إذن لابد في قراءته من توافر شرطي قبول العبادة وهما الإخلاص والمتابعة.



المقدمة الثالثة

(شروط قبول العمل الصالح)

للعمل الصالح شروط لقبوله فلا يقبل أي عمل مما يتقرب به إلى الله ﷻ إلا بشرطين: الإخلاص والمتابعة قال الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]. أخرج أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٩٥) عن الفُضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قالَ فِي هَذِهِ الآيةِ: «أَخلَصُهُ وَأصوبُهُ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ خَالِصًا ولَم يَكُن صَوَابًا لَم يُقبَل وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَم يَكُن خَالِصًا لَم يُقبَل حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا وَالخَالِصُ إِذَا كَانَ لِلَّهِ وَالصَّوَابُ إِذَا كَانَ عَلَى السُّنَّةِ».

إذن لابد في العمل الصالح من توافر شرطين وهما:

الشرط الأول:

إخلاص العمل لله وحده لا شريك له قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

روى مسلم (٧٦٦٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ **«قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّركِ مَن عَمِلَ عَمَلاً أَشرَكَ فِيهِ مَعِي غَيرِي تَرَكتُهُ وَشِركَهُ»** وفي «الموطأ»: **«فهو له كله أنا أغنى الشركاء»**[١].

(١) قال عبد الباقي: «و ما انفردت به نسخته - ابن قاسم - من الموطأ: مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: من عمل عملا أشرك فيه معي غيري فهو له كله أنا أغنى الشركاء». قال أبو عمر بن عبد البر: هذا الحديث لا يوجد إلا في موطأ ابن القاسم وابن عفير من الموطآت» الموطأ (١/ ١٣).

وروى الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» [(١/ ٣١٧) رقم (٦٩٢)] عن سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «ما عالجت شيئًا أشد علي من نيتي، إنها تقلب علي».

فيجب أن تكون العبادة مخلصة لوجهه تعالى لا يراد بها غرض من أغراض الدنيا من شهرة وجاه وغير ذلك.

الشرط الثاني:

المتابعة لرسول الله ﷺ وهذا هو تحقيق معنى شهادة أن محمدًا رسول الله إذ معناها: طَاعَتُهُ ﷺ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصدِيقُهُ فِيمَا أَخبَرَ، واجتِنَابُ مَا نَهَى عَنهُ وَزَجَرَ، وأَلا يُعبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ على لسانه ﷺ لا بالبدع والأهواء.

أخرج البخاري في صحيحه معلقًا باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم (٤/ ٣٧٢) ومسلم (١٧١٨) وأحمد (٢٥٤٧٢) عن عائشة رَحِمَهَا اللَّهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن عَمِلَ عَمَلاً لَيسَ عَلَيهِ أَمرُنَا، فَهوَ رَدٌّ**» أي مردود عليه.

وفي رواية عند البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) واللفظ له «**مَن أَحدَثَ فِي أَمرِنَا هَذَا مَا لَيسَ منه فَهُوَ رَدٌّ**» ولفظ البخاري «**ما ليس فيه**».

فَمَن أَخلَصَ عملَهُ للهِ تعالى مُتَّبِعًا فِي ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَمَلُهُ مَقبُولٌ مأجور عليه قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥].

وَالعمل الذي يفقد الشَّرطَينِ أَو أَحَدَهُمَا فهو مَردُودٌ على صاحبه قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على البكري المسمى «تلخيص كتاب الاستغاثة» (١/ ١٤٠ ـ ١٤١):

«فدِينُ الإسلَام مَبنِيٌّ عَلَى أَصلَينِ من خرج عن واحدٍ منهما فلا عملَ له ولا دينَ: أَن نَعبُدَ اللَّهَ وَحدَهُ لَا نشرك به شيئًا وعلى أن نعبده بما شرع لا بالحوادث والبدع وهو حقيقة قول لا إله إلا الله محمد رسول الله».اهـ.

وقال في «الفتاوى الكبرى» (٢/ ٢٤٢):

«وَالعِبَادَاتُ مَبنَاهَا عَلَى الشَّرعِ وَالاتِّبَاع، لَا عَلَى الهَوَى وَالابتِدَاع؛ فَإِنَّ الإسلامَ مَبنِيٌّ عَلَى أَصلَينِ: أَن لَا نَعبُدَ إلَّا اللَّهَ وَحدَهُ، وَأَن نَعبُدَهُ بِمَا شَرَعَهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ لَا نَعبُدُهُ بِالأَهوَاءِ وَالبِدَعِ».اهـ.

فقراءةُ القرآنِ عبادةٌ لا بُدَّ أن يَتَوَافَرَ فِيهَا الإخلاصُ والمتابعةُ لا أن يَقرَأَه كلٌّ على حَسَبِ هواه وَما زينه له الشيطان من سوء عمله فصده عن السبيل فهو من العمين.





المقدمة الرابعة

(السبيل إلى فهم النصوص الشرعية)

وثَمَّ أمر لابد من التنبيه عليه وهو أن النصوص الشرعية من كتاب وسنة لا بد أن يكون فهمها موافقا لفهم أعلم الأمة بالكتاب والسنة وهم أصحاب رسول الله ﷺ والنصوص الواردة في القرآن والسنة في تزكية معتقد الأصحاب رضي الله عنهم وأصول إيمانهم كثيرة منها: قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [البقرة: ١٣٧] وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وأخرج البخاري (٢٦٥٢، ٣٦٥١، ٦٤٢٩) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خيرُ النَّاسِ قرنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يلُونهُم، ثُمَّ الَّذِينَ يلُونَهُم، ثُمَّ الَّذِينَ يلُونَهُم ثُمَّ يَجِيءُ أقوامٌ تسبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِم يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»**.

ومسلم (٢٥٣٣) بلفظ: **«خيرُ النَّاسِ قَرنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال ثم يتخلف من بعدهم خلف تَسبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِم يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»**.

وأخرج أحمد (١٧١٤٢) وابن ماجه (٤٣) وصححه الألباني في الصحيحة (٩٣٧) وغيرها عن العِربَاضَ بنَ سَارِيَةَ رضي الله عنه، أنه قَالَ: **«وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوعِظَةً ذَرَفت مِنهَا العُيُونُ، وَوَجِلَت مِنهَا القُلُوبُ، قُلنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعهَدُ إِلَينَا؟ قَالَ: قَد تَرَكتُكُم عَلَى**

البَيضَاءِ لَيلُهَا كَنَهَارِهَا لاَ يَزِيغُ عَنهَا بَعدِي إلاَّ هَالِكٌ، وَمَن يَعِش مِنكُم، فَسَيَرَى اختِلاَفًا كَثِيرًا، فَعَلَيكُم بِمَا عَرَفتُم مِن سُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهدِيِّينَ، وَعَلَيكُم بِالطَّاعَةِ، وَإِن عَبدًا حَبَشِيًا عَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ، فَإِنَّمَا المُؤمِنُ كَالجَمَلِ الأَنِفِ حَيثُمَا انقِيدَ انقَادَ».

لذا لا بد أن يكونَ فهمنا للنصوص الشرعية وفق فَهم الأَصحَابِ أصحاب النبي ﷺ فغاية اجتهاد المسلم أن يفهم ما فهمه الأَصحاب وأن يعرف ما قالوه ولا يركن إلى ما يمليه عليه عقله لأن الناس إذا ردوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل يخصه ويعجبه ما يمليه عليه عقله من ترهات وأباطيل.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «الزاد» (٥/ ٦٦٩):

«وبهذا يُعرف قدرُ فهم الصحابة رضي الله عنهم، وأن مَن بعدهم إنما يكون غايةُ اجتهاده أن يفهم ما فهموه، ويعرف ما قالوه».اهـ.

وإنما يُؤخَذُ بفهم الأصحابِ، ويُعتَدُّ به، لكونهم أبَرَّ الناس قلوبًا، وأعمقَهم علمًا، وأقلهم تكلفًا فقد أخرج قوام السنة الأصبهاني رَحِمَهُ اللهُ في «الحجة» (٢/ ٤٧٨) رقم (٤٩٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «مَن كان منكم متأسِّيًا فليتأسَّ بأصحاب النبي ﷺ فإنَّهم كانوا أبرَّ هذه الأمَّة قلوبًا، وأعمقَها علمًا، وأقلَّها تكلُّفًا، وأقومَها هديًا، وأحسنَها أخلاقًا، اختارهم الله ﷻ لصحبة نبيِّه ﷺ، وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلَهم، واتَّبعوهم في آثارهم؛ فإنَّهم كانوا على الهدي المستقيم». وأخرجه أبو نعيم رَحِمَهُ اللهُ في «الحلية» (١/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦) عَن عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: **«مَن كَانَ مُستَنًّا فَليَستَنَّ بِمَن قَد مَاتَ، أُولَئِكَ أَصحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا خَيرَ هَذِهِ الأُمَّةِ، أَبَرَّهَا قُلُوبًا، وَأَعمَقَهَا عِلمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَومٌ اختَارَهُمُ الله لِصُحبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَنَقلِ دِينِهِ، فَتَشَبَّهُوا بِأَخلاَقِهِم وَطَرَائِقِهِم فَهُم أَصحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَانُوا عَلَى الهُدَى المُستَقِيمِ».**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «المنهاج» (٢/ ٧٩):

«وقول عبد الله بن مسعود: «**كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا**»؛ كلامٌ جامعٌ بيّنَ فيه حُسنَ قَصدِهِم ونياتِهم ببِرِّ القلوبِ، وبَيّنَ فيه كمالَ المعرفةِ ودِقَّتَها بعُمقِ العلمِ، وبَيّنَ فيه تَيَسُّرَ ذلك عليهم وامتناعَهم من القولِ بلا علمٍ بقلةِ التكلفِ». اهـ.

قال السَّفَارِينِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «لوامع الأنوار» (٢/ ٣٨٠):

«فَأَحَقُّ الأُمَّةِ بِإِصَابَةِ الصَّوَابِ أَبَرُّهَا قُلُوبًا، وَأَعمَقُهَا عُلُومًا، وَأَقوَمُهَا هَديًا مِن غَيرِ شَكٍّ وَلَا ارتِيَابٍ».اهـ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا في الموضع نفسه:

«فَخَيرُ قُلُوبِ العِبَادِ أَحَقُّ الخَلقِ بِإِصَابَةِ الصَّوَابِ، فَكُلُّ خَيرٍ وَإِصَابَةٍ وَحِكمَةٍ وَعِلمٍ وَمَعَارِفَ وَمَكَارِمَ إِنَّمَا عُرِفَت لَدَينَا، وَوَصَلَت إِلَينَا مِنَ الرَّعِيلِ الأَوَّلِ، وَالسِّربِ الَّذِي عَلَيهِ المُعَوَّلُ، فَهُمُ الَّذِينَ نَقَلُوا العُلُومَ وَالمَعَارِفَ عَن يَنبُوعِ الهُدَى وَمَنبَعِ الِاهتِدَا».اهـ.

وقال في (٢/ ٣٨١): «وَعَلَى كُلِّ حَالٍ لَا يَرتَابُ ذَوُو الأَلبَابِ مِن ذَوِي الأَفَاضِلِ أَنَّ الصَّحَابَةَ الكِرَامَ حَازُوا قَصَبَاتِ السَّبقِ بِصُحبَةِ خَيرِ الأَنَامِ، وَاستَولَوا عَلَى الأَمَدِ، فَلَا مَطمَعَ لِأَحَدٍ مِنَ الأُمَّةِ بَعدَهُم فِي اللَّحَاقِ، وَلَكِنَّ المُبرِزَ مَنِ اتَّبَعَ صِرَاطَهُمُ المُستَقِيمَ، وَاقتَفَى مِنهَاجَهُمُ القَوِيمَ، وَالمُتَخَلِّفَ مَن عَدَلَ عَن طَرِيقَتِهِم ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ، فَذَاكَ المُنقَطِعُ التَّائِهُ فِي بَيدَاءِ المَهَالِكِ وَالضَّلَالِ».اهـ.

وأخرج ابن وضاح رَحِمَهُ اللَّهُ في «البدع» (١٧) عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أنه قال: «**اتَّقُوا اللَّهَ يَا مَعشَرَ القُرَّاءِ وَخُذُوا طَرِيقَ مَن كَانَ قبلكُم، والله لئن استقمتم لَقَد سَبَقتُم سَبقًا بَعِيدًا، وَلَئِن تَركتُمُوهُ يَمِينًا أو شِمَالاً لَقَد ضَلَلتُم ضَلالاً بعيدًا**»

فَلَابُدَّ لِفَهمِ نُصُوصِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ مِن أَن يَكُونَ الفَهمُ وِفقَ فَهمِ

الأَصحَابِ ﷺ لأَنهُم هُم الَّذِينَ عَاصَرُوا الوَحيَ، وَهُم أَعلَمُ النَّاسِ بِمَفهُومِ قَال اللهُ قَال رَسُولُهُ ﷺ لأنهم أعلى الناس إسنادا فهم سمعوا من رسول الله ﷺ مباشرة فم لأذن والعربية سليقتهم وَلِهَذَا يَنبَغِي وَيَجِبُ أَن تُفهَمَ نُصُوصُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وِفقَ فَهمِهِم، لَا وِفقَ فَهمِ أهل البدع والأهواء.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «إعلام الموقعين» (٦/ ٢١ ـ ٢٢):

«فَلَا رَيبَ أَنَّهُم كَانُوا أَبَرَّ قُلُوبًا، وَأَعمَقَ عِلمًا، وَأَقَلَّ تَكَلُّفًا، وَأَقرَبَ إِلَى أَن يُوَفَّقُوا فِيهَا لِمَا لَم نُوَفَّق لَهُ نَحنُ؛ لِمَا خَصَّهُم اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِن تَوَقُّدِ الأَذهَانِ، وَفَصَاحَةِ اللِّسَانِ، وَسَعَةِ العِلمِ، وَسُهُولَةِ الأَخذِ، وَحُسنِ الإِدرَاكِ وَسُرعَتِهِ، وَقِلَّةِ المُعَارِضِ أَو عَدَمِهِ، وَحُسنِ القَصدِ، وَتَقوَى الرَّبِّ تَعَالَى؛ فَالعَرَبِيَّةُ طَبِيعَتُهُم وَسَلِيقَتُهُم، وَالمَعَانِي الصَّحِيحَةُ مَركُوزَةٌ فِي فِطَرِهِم وَعُقُولِهِم، وَلَا حَاجَةَ بِهِم إِلَى النَّظَرِ فِي الإِسنَادِ وَأَحوَالِ الرُّوَاةِ وَعِلَلِ الحَدِيثِ وَالجَرحِ وَالتَّعدِيلِ، وَلَا إِلَى النَّظَرِ فِي قَوَاعِدِ الأُصُولِ وَأَوضَاعِ الأُصُولِيِّينَ، بَل قَد غُنُوا عَن ذَلِكَ كُلِّهِ، فَلَيسَ فِي حَقِّهِم إِلَّا أَمرَانِ: أَحَدُهُمَا: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى كَذَا، وَقَالَ رَسُولُهُ كَذَا، وَالثَّانِي: مَعنَاهُ كَذَا وَكَذَا، وَهُم أَسعَدُ النَّاسِ بِهَاتَينِ المُقَدِّمَتَينِ، وَأَحظَى الأُمَّةِ بِهِمَا، فَقُوَاهُم مُتَوَفِّرَةٌ مُجتَمِعَةٌ عَلَيهِمَا». اهـ.

وقال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللهُ في «الجرح والتعديل» (١/ ٧ ـ ٨):

«فأمَّا أصحابُ رسول الله فهم الذين شهدوا الوحيَ والتنزيلَ، وعرفوا التفسيرَ والتأويلَ، وهم الذين اختارهم الله ﷻ لصحبة نبيِّه ﷺ ونصرته وإقامةِ دينه وإظهارِ حقِّه، فرضيهم له صحابةً، وجعلهم لنا أعلامًا وقدوةً، فحفظوا عنه ﷺ ما بلَّغهم عن الله ﷻ، وما سنَّ وشرع وحكم وقضى وندب وأمر ونهى وحظر وأدَّب، ووعَوه وأتقنوه، ففقهوا في الدين، وعلموا أمرَ الله ونهيه ومراده بمعاينة رسول الله ﷺ ومشاهدتهم منه تفسيرَ الكتاب وتأويله، وتلقّفهم منه واستنباطهم عنه، فشرَّفهم الله ﷻ بما مَنَّ عليهم وأكرمهم به من

وضعه إيَّاهم موضع القدوة فنفى عنهم الشك والكذب والغلط والريبة والغمز وسماهم عدول الأمة فقال عز ذكره في محكم كتابه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البَقَرَة: ١٤٣] ففسر النبي ﷺ عن الله عز ذكره قوله «**وسطًا**» قال: عدلًا.

فكانوا عدولَ الأمَّة وأئمَّةَ الهدى وحججَ الدِّين ونقلةَ الكتاب والسنة. وندب اللهُ ﷻ إلى التمسُّك بهديهم والجري على منهاجهم والسلوك لسبيلهم والاقتداء بهم، فقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النِّسَاء: ١١٥] الآية.

ووجدنا النَّبِيَّ ﷺ قد حضَّ على التبليغ عنه في أخبار كثيرة، ووجدناه يخاطبُ أصحابَه فيها، منها أن دعا لهم فقال ﷺ: «**نضَّر الله امرءًا سمع مقالتي فحفظها ووعاها حتّى يبلِّغها غيرَه**»[(١)]، وقال ﷺ في خطبته: «**فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنكُمُ الغَائِبَ**»[(٢)]، وقال: «**بلِّغوا عنِّي ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»[(٣)].

ثمَّ تفرَّقت الصحابةُ ﷺ في النَّواحي والأمصار والثغور، وفي فتوح البلدان والمغازي والإمارة والقضاء والأحكام، فبثَّ كلُّ واحدٍ منهم في ناحيته وبالبلد الذي هو به ما وعاه وحفظه عن رسول الله ﷺ، وحكموا بحكم الله ﷻ وأمضوا الأمور على ما سنَّ رسول الله ﷺ، وأفتوا فيما سُئلوا عنه مِمَّا حضرهم من جواب رسول الله ﷺ عن نظائرها من المسائل، وجرّدوا أنفسهم مع تقدمة حسن النيّة والقربة إلى الله تقدّس اسمُه، لتعليم

---

(١) أخرجه البزار مختصرًا (٣٤١٦) ومطولاً (٣٤١٧) عَن مُحَمَّدِ بنِ جُبَيرِ بنِ مُطعِم، عَن أَبِيهِ ﷺ بلفظ «نَضَّرَ اللَّهُ امرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِيَ فَحَفِظَهَا فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا» والطبراني في الكبير (١٥٤٣) بلفظ «نضر الله عبدًا» وصححه الألباني ﷺ في صحيح الترغيب والترهيب (١٥٣-٩٢)

(٢) أخرجه البخاري ضمن خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع (٦٧، ٤٤٠٦، ٥٥٥٠، ٧٤٤٧) عن عَن أَبِي بَكرَةَ ﷺ بلفظ «ألاَ لِيَبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ»

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦١) عَن عَبدِ اللَّهِ بنِ عَمرٍو ﷺ

الناس الفرائض والأحكام والسنن والحلال والحرام، حتّى قبضهم الله ﷻ رضوانُ الله ومغفرته ورحمته عليهم أجمعين».اهـ.

وَمَا أُصِيبَت الأُمَّةُ إلَّا مِن قِبَلِ الفَهم فَحِينَمَا اعتَمَدُوا عَلَى فَهمِهِم وَنَحَّوا فَهمَ الأَصحَابِ ﭫ جَانِبًا وَوَكَلُوا الفَهمَ إِلَى عُقُولِهِم وَقَعُوا فِي الضَّلَالَةِ وَالانحِرَافِ وَمَا ظَهَرَت ضَلَالَةٌ إِلَّا بِاستِقلَالِ الفَهمِ عَن فَهمِ الأَصحَابِ ﭫ فَمَا خَرَجَتِ الخَوَارِجُ وَاعتَزَلَتِ المُعتَزِلَةُ وَتَشَيَّعَتِ الشِّيعَةُ إِلَّا بِاستِقلَالِهِم بِالفَهمِ دُونَ فهم الأَصحَابِ.

فَيَنبَغِي أَن تُفهَمَ نُصُوصُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهمِ الأَصحَابِ وَمَن تَبِعَهُم بِإِحسَانٍ قَالَ العَلَّامَةُ ابنُ القَيِّمِ ﷾ تعالى في الكافية الشافية:

«العِلمُ قَالَ الله قَالَ رَسُولُهُ ... قَالَ الصَّحَابَةُ هُم ذَوُو العِرفَانِ
مَا العِلمُ نَصبَكَ لِلخِلَافِ سَفَاهَةً ... بينَ الرَّسولِ وَبَينَ رَأيِ فَلَانِ»

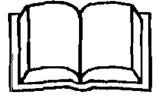
وَرَحِمَ اللهُ الإِمَامَ الأَوزَاعِي فقد روى عنه الهروي في «ذم الكلام» [(٤/ ١٤٩) رقم (٩٢٤)] أنه قَالَ: «اصبِر نَفسَك عَلَى السُّنَّةِ، وَقِف حَيثُ وَقَفَ القَومُ، وَقُل بِمَا قَالُوا، وَكُفَّ عَمَّا كَفُوا، وَاسلُك سَبِيلَ سَلَفِك الصَّالِحِ، فَإِنَّهُ يَسَعُك مَا يسعهُم، لست آمن إلا أن يدفع الله شر هذه البدعة من أن يصيروا إخوانا بعد تواد إلى تفرق في دينهم وتباغض، وَلَو كَانَ خَيرًا مَا خُصِصتُم بِهِ دُونَ أَسلَافِكُم; وَإِنَّهُ لَم يُدَّخر عَنهُم خَيرٌ خُبِّئَ لَكُم دُونَهُم لِفَضلٍ عِندَكُم، وَهُم أَصحَابُ محمد رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ورضي عنهم اختَارَهُم الله له وَبَعَثَهُ فِيهِم وَوَصَفَهُم بما وصفهم به فقَالَ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] الآيَةَ». اهـ.

وروى عنه أيضًا [(٤/ ١٥٠) رقم(٩٢٥)] أنه قال: «وَمَا رَأي امرىء فِي أَمرٍ بَلَغَهُ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إلاَّ اتبَاعُهُ وَلَو لَم يَكُن فِيهِ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ فِيهِ أَصحَابُهُ مِن بَعدِهِ كَانُوا أَولَى فِيهِ بِالحَقِّ مِنَّا لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَثنَى عَلَى مَن بَعدَهُم باتِّبَاعِهِم إِيَّاهُم فَقَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠] وَقُلتُم

أَنتُم: لَا بَل نَعرِضُهَا عَلَى رَأيِنَا فِي الكِتَابِ فَمَا وَافَقَهُ مِنهَا صَدَّقنَاهُ وَمَا خَالَفَهُ تَرَكنَاهُ. وَتِلكَ غَايَةُ كُلِّ مُحدِثٍ فِي الإِسلَامِ رَدُّ مَا خَالَفَ رَأيَهُ مِنَ السُّنَّةِ»).

وتكون القاعدة ألا نعبد إلا الله ولا نعبده إلا بما شرع على لسان نبيه ﷺ على فهم سلف الأمة أصحاب النبي ﷺ.





الأحاديث الواردة في التغني بالقرآن

الحديث الأول:

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ليس مِنَّا مَن لم يَتَغَنَّ بالقرآنِ»

أخرجه البخاري (٧٥٢٧) عن أبي هريرة وفي آخره: «وزاد غيره: يجهر به»[١] الزيادة عن غير أبي هريرة وأخرجه أبو داود (١٤٥٦) عن سعيد بن أبي سعيد والحاكم [من رقم (٢١٤٤) إلى (٢١٤٩)] وابن أبي شيبة (٨٨٢٢ ـ ٨٨٢٣ ـ ٣٠٤٤٠) وأحمد (١٤٧٦ ـ ١٥١٢ ـ ١٥٤٩) وكذا البيهقي في «السنن» (٢٠١٨٦) وفي «الشعب» (٢٦١٣) وغيرهم عن سعد بن أبي وقاص، وأبو عوانة [من رقم (٣٨٧٢) إلى رقم (٣٨٨٠)] عن سعد بن أبي وقاص وسعيد بن أبي سعيد وعبد الله بن عباس وأبي لبابة وزاد الحاكم وابن أبي شيبة والبيهقي في «الشعب» قال سفيان: «يستغني به» وزاد ابن أبي شيبة وأبو عوانة وأحمد في بعض رواياته عن وكيع قال: «يستغني به».

الحديث الثاني:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَذِنَ[٢] اللَّهُ لِشَيءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ [حَسَنِ الصَّوتِ] يَتَغَنَّى بِالقُرآنِ [يَجهَرُ بِهِ]».

---

(١) قال العيني في «عمدة القاري» (٢٥/ ٣٧٣): «قوله «غيره» هو صاحب لأبي هريرة زاد في آخر الحديث يجهر به أي بالقرآن».
وقد جزم الحليمي رَحِمَهُ اللهُ بأنها من قول أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٩/ ٧١) وسيأتي في الكلام على تأويل التغني بالجهر

(٢) وأَذِنَ له أَذَنًا: استمع

أخرجه البخاري (٧٤٨٢) و(٧٥٤٤) ومسلم (٧٩٢) وأبو داود (١٤٦٠) والنَسائي (١٠١٦) والبيهقي في «السنن» (٢٠١٨٥) وفي «الشعب» (٢٦٠٨) وأخرجه أحمد (٧٦٧٠) و(٩٨٠٥) بدون «**حسن الصوت**» وعبد الرزاق (٤١٦٦) بلفظ «لِنبي» مكان «لشيء» وأبو يعلى (٥٩٥٩) بزيادة «**يجهر بالقرآن**» وابن أبي شيبة (٨٨٢٤) بلفظ «**كَأذَنِه لنبي يَتغَنَّى**» و«**يجهر بالقراءة**» وكلهم عن أبي هريرة.

قال ابن حجر في «الفتح» (٢/٢٢١٨): «قوله: «**ما أذن لنبي**» كذا للأكثر، وعند أبي ذر «**للنبي**» بزيادة اللام، فإن كانت محفوظة هي للجنس، ووهم من ظنها للعهد وتوهم أن المراد نبينا محمد ﷺ فقال: ما أذن للنبي ﷺ، وشرحه على ذلك».اهـ.



المقصود بالتغني

اختلفت أقوالُ السلفِ في تأويلِ (يَتَغَنَّى) الواردةِ في الأحاديثِ الآنفةِ الذكرِ على خمسِ تأويلاتٍ وهي:

١ ـ الاستِغنَاء:

ذهبَ سفيانُ بنُ عيينةَ ووكيعُ بنُ الجَرَّاحِ ـ رحمهما الله ـ إلى أن «يَتَغَنَّى» في الأحاديث الآنفةِ الذكرِ بمعنى «يَستَغنِي به عن غيره» وتبعهم على ذلك إيَاسُ بنُ معاويةَ وأبو عبيدٍ القاسم بن سلام والبخاريُّ والطحاويُّ وابنُ الأنباريِّ رحمهم الله.

وهذا التأويل الذي ذهبوا إليه من أن «يتغنى» يأتي بمعنى «الاستغناء» نطق به الرسول ﷺ وجاء في كلام العرب فلم يكن ابتداعا من هؤلاء الأئمة فقد أخرج البخاري (٤٩٦٢) حديث الخيل عن أبي هريرة وأوله «**الخَيلُ لِثلاثَةٍ لِرَجُلٍ أَجرٌ وَلِرَجُلٍ سِترٌ وَعَلَى رَجُلٍ وِزرٌ...**» فقال في التي له ستر «**ورَجلٌ رَبطَها تَغنِّيا وتَعفُّفًا**» فـ« **تَغنِّيا**» أي: استِغَناءً بها عن الطَّلَبِ من الناسِ.

قالَ الخليلُ بنُ أحمدَ الفَرَاهِيدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ (٣/ ٢٩٤):

«تَغَنَّى على معنى استَغنى». اهـ.

وقال الجَوهَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ (٢/ ٢٧):

«وتَغَنَّى الرجل، أي استَغنى، وأغناهُ الله. وتَغانَوا، أي استغنى بعضُهم عن بعض».اهـ.

وقال ابنُ الأثيرِ رَحِمَهُ اللهُ في «النهاية» (٣/ ٣٩١):

«وفي حديث الخيل «**رجُل رَبَطها تَغَنّيا وتَعَفُّفا**»[1] أي استِغَناءً بها عن الطَّلَبِ من الناسِ وفي حديث القرآن «**مَن لم يَتَغَنَّ بالقرآن فليس مِنَّا**» أي لم يَستَغنِ به عن غيره. يقال: تَغَنَّيت وتغانَيت واستغنيت. وقيل: أراد من لم يَجهَر بالقراءة فليس مِنَّا. وقد جاء مُفَسَّرا في حديث آخر: «**ما أذِنَ اللّه لشيءٍ كإذنِه لنَبِيّ يَتَغَنَّى بالقرآنِ يَجهُر به**» قيل إنَّ قوله «**يجهَر به**» تَفسير لقوله «**يتَغَنَّى به**». وقال الشافعي: معناه تَحسِين ـ في الهروي: «تحزين» ـ القراءة وتَرقِيقُها ويَشهد له الحديث الآخر «**زَيِّنُوا القرآنَ بأصواتِكم**»[2] وكل من رَفَع صَوتَهُ ووالَاه فصَوتُهُ عند العربِ غِنَاء». اهـ.

وقال أبو عبيدٍ رَحِمَهُ اللهُ في «غَرِيبِ الحديثِ» (١/ ٢٨٣):

«وأما حديثُ النبيِّ ﷺ: «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ**». فليس هو ـ عندي ـ من هذا إنما هو من الاستغناء وقد فَسَّرنَاهُ في مَوضِعِ آخَرَ». اهـ.

وقال في «فضائلِ القرآنِ» (٢/ ١٠):

«قوله: «**مَن لَم يَتَغَنَّ بالقُرآنِ**». التَّغَنِّي: هو الاستغناءُ والتَّعَفُّفُ عَن مَسأَلَةِ الناسِ واستِئكَالِهِم بِالقرآنِ، وأن يكونَ في نَفسِهِ بِحَملِهِ القرآنَ غَنِيًّا، وإن كانَ مِنَ المالِ مُعدَمًا».اهـ.

وقال في «غريبِ الحديثِ» (١/ ٢٩٨ ـ ٣٠٠):

«في حديث النبي ﷺ: «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ**». كان سفيان بن عيينة يقول: معناه من لم يَستَغنِ به. ولا يذهب به إلى الصوت وليس للحديث ـ عندي ـ وجه غير هذا، لأنه في حديث آخر كأنه مفسر عن عبد الله بن نهيك ـ أو ابن أبي نهيك ـ أنه دخل على سعد ـ أي ابن أبي

(١) أخرجه البخاري (٤٩٦٢) عن أبي هريرة وأوله (الخيل لثلاثة. . . .).
(٢) سيأتي تخريجه فيما بعد.

وقاص ـ وعنده متاع رث ومثال[(١)] رث، فقال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتغَنَّ بِالقُرآنِ**».اهـ.

وقال: «فَذِكرُهُ رثاثة المتاع والمثال عند هذا الحديث يبينك أنه إنما أراد الاستغناء بالمال القليل، وليس الصوت من هذا في شيء».اهـ.

وذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «**من قرأ سورة آل عمران فهو غني**»[(٢)].

ثم قال: «فأرى الأحاديث كلها إنما دلت على الاستغناء، ومنه حديثه الآخر: «**مَن قَرَأَ القُرآنَ فَرَأَى أَنَّ أَحَدًا أُعطِيَ أَفضَلَ مِمَّا أُعطِيَ فَقَد عَظَّمَ صَغِيرًا وَصَغَّرَ عَظِيمًا**»[(٣)] ومعنى الحديث: لا ينبغي لحامل القرآن أن يرى أحدا من أهل الأرض أغنى منه ولو ملك الدنيا برحبها. ولو كان وجهه كما يتأوله بعض الناس أنه الترجيع بالقراءة وحسن الصوت لكانت العقوبة قد عظمت في ترك ذلك أن يكون: من لم يرجع صوته بالقرآن فليس من النبي ﷺ حين قال: «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ**»، وهذا لا وجه له، ومع هذا أنه كلام جائزٌ فاش في كلام العرب وأشعارهم أن يقولوا: **تَغَنَّيت تَغَنِّيًا** و **تَغانَيتُ تَغانِيًا** ـ يعني استَغنَيت قال الأعشى:

وكُنتُ امرَأً زَمَنًا بالعِرا ... ق عَفِيفَ المُناخِ طَويلَ التَّغَني[(٤)]

---

(١) المثال: الفراش

(٢) رواه البيهقي في «الشعب» (٢٦١٥) موقوفًا على ابن مسعود

(٣) أخرجه المروزي في «مختصر قيام الليل» (١٧٥) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ القرآن فكأنما استدرجت النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحي إليه، ومن قرأ القرآن فرأى أن أحدا أعطي أفضل مما أعطي، فقد عظم ما صغر الله، وصغر ما عظم الله، وليس ينبغي لحامل القرآن أن يسفه فيمن يسفه، أو يغضب فيمن يغضب، أو يحتد فيمن يحتد، ولكن يعفو ويصفح لفضل القرآن»
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» تحت رقم (١١٦٣٢): «رواه الطبراني وفيه إسماعيل بن رافع وهو متروك»

(٤) من قصيدة للأعشى بعنوان لَعَمرُكَ مَا طُولُ هذا الزّمن مطلعها:

لَعَمرُكَ مَا طُولُ هذا الزَّمَن ... عَلى المَرءِ، إلاّ عَنَاءٌ مُعَنّ

يريد الاستِغناءَ أو الغنى وقال المغيرة بن حبناء التميمي يعاتب أخا له:

كلانا غني عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا[1]

يريد أشد استغناء، هذا وجه الحديث والله أعلم». اهـ.

وقال الأزهري رَحِمَهُ اللهُ (٨/ ٢٠١):

«وأَما الحديث الآخر: «**ما أَذِنَ الله لشيءٍ كأَذَنِه لنَبيِّ يَتَغَنَّى بالقرآنِ**» فإنَّ عبدَ الملِك أَخبرني عن الربيع عن الشافعي أَنه قال: «معناه تَحسِينُ القِراءةِ وتَرقِيقُها» .ومما يُحَقّقُ ذلك الحديثُ الآخرُ: «**زَيِّنُوا القرآن بأصواتكم**». ونحوَ ذلك قال أبو عبيد وقال أَبو العباس: الذي حَصَّلناه من حُفَّاظ اللغة في قوله ﷺ «**كَأَذَنِهِ لِنَبيِّ يَتَغَنَى بالقرآنِ**». أَنه على مَعنَيَينِ على الاستغناء وعلى التَّطرِيبِ، قلت: فمن ذهَب به إلى الاستغناء فهو من الغِنى مقصورٌ ومن ذهَب به إلى التَّطرِيبِ فهو من الغِناء الصَّوتِ ممدودٌ». **اهـ**.

وقال ابنُ مَنظُورٍ رَحِمَهُ اللهُ (٥/ ٣٣٠٨ _ ٣٣٠٩):

«وقد غَنِيَ غِنىً واستَغنى واغتَنى وتَغَانَى وتَغَنَّى فهو غَنِيٌّ وفي الحديث «**ليس مِنَّا مَن لم يَتَغَنَّ بالقرآنِ**» قال أَبو عبيد: كان سفيانُ بنُ عُيَينة يقول: «ليسَ مِنَّا مَن لم يَستَغنِ بالقرآن عن غيرِه». ولم يَذهَب به إلى الصوت».اهـ.

ثم نقل كلام أبي عبيد السابق ذكره ثم قال: «وقيل أَرادَ مَن لم يَجهَر بالقراءة»ثم نقل كلام الأزهري السابق ذكره.

---

(١) ذكره المبرد في «الكامل» (٢٧٦) في قصيدة نسبها لعبد الله بن مُعاوية بن جعفر الطَّالِبيّ يعاتب فيها صديقه مطلعها:

رأيت فضيلًا كان شيئًا ملففًا فكشفه التمحيص حتى بدا ليا

ونسبه البعض إلى نصيب الأصغر أبي الحجناء و بعضهم لابن شبرُمة

وقال الفَيُّومِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «المصباح المنير» (٢/ ٤٥٥):

«وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ**» قال الأزهري: قال سفيان بن عيينة: معناه ليس منا من لم يَستَغنِ. ولم يذهب به إلى معنى الصوت قال أبو عبيد: وهو فاشٍ في كلام العرب يقولون: تَغَنَّيتُ تَغَنِّيًا، وتَغَانَيتُ تَغَانِيًا بمعنى: استَغنَيتُ. وقوله: «**مَا أَذِنَ الله لِشَيءٍ كَأَذنِهِ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالقُرآنِ**» قال الأزهري: أخبرني عبد الملك البغوي عن الربيع عن الشافعي أن معناه: تحزين القراءة وترقيقها. وتحقيق ذلك في الحديث الآخر: «**زَيِّنُوا القُرآنَ بِأَصوَاتِكُم**» وهكذا فسره أبو عبيد فالحديث الأول من الغنى مقصورا، والثاني من الغِنَاءِ ممدودا فافهمه هذا لفظه».اهـ.

وقال الهَمَذَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «التمهيد» (٦٤):

«فأما الأحاديثُ التي سُقنَاهَا آنِفًا فَذَهَبَ غَيرُ وَاحِدٍ مِنَ العُلماءِ إلى أَنَّهُ الاستِغناءُ بِالقُرآنِ عَن مَتاعِ الدُّنيا مِنهُم سُفيَانُ بنُ عُيَينَةَ ووَكِيعُ بنُ الجَرَّاحِ».اهـ.

قلت: ومِنهُمُ أيضًا إِيَاسُ بنُ معاويةَ وأبو عبيدٍ والبُخَارِيُّ والطحاويُّ وابنُ الأنباريِّ.

فبالنسبة لسفيان بن عيينة: قال البخاريُّ (٥٠٢٤): «قال سُفيَان: تَفسِيره يُستَغنَى بِهِ»

وروى الدارمي [(٣/ ٢١٨٧) رقم (٣٥٣١)] عن ابنُ عيينةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال في تفسير«يتغنى»: «يستغني».

وروى ابن أبي شيبة (٨٨٢٢ ـ ٨٨٢٣ ـ ٣٠٤٤٠) والحاكم [من رقم(٢١٤٤) إلى (٢١٤٩)] وأبو يعلى (٧٤٨) والحميدي (٧٦ ـ ٧٧) والدارمي (٣٥٣١) عَن سُفيَان رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قَالَ في قول النَّبِيِّ ﷺ: «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ**» يَعنِي: «يَستَغنِي بِهِ».

ورواه أيضًا الخلال في «الأمر بالمعروف» (١٠٨) نقلا عن أحمد: أنه تفسير سفيان.

وروى المروزي في «مختصر قيام الليل» (١٣٩) عن سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «يعني: يستغني به عما سواه من الكلام».

وأخرج ابن أبي شيبة (٨٨٢٣) وأحمد (١٤٧٦) في بعض الروايات عن وكيع يعني: «يستغني به».

وذكر أبو عوانة (٣٨٧٢) حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من رواية وكيع وفي آخره «يَستَغنِي بِهِ».

وقال البخاري في «الصحيح» [(٣/ ٣٤٦) في كتاب فضائل القرآن باب (١٩)]:

«بَاب مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]» اهـ.

فذِكرُ البخاري للآية بعد الحديث يدل على أنه يذهب إلى أن التغني في الحديث بمعنى الاكتفاء بالقرآن عما سواه وهو الاستغناء وهذا دليل على فقهه رَحِمَهُ اللَّهُ قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٩/ ٦٨):

«وقد خفي وجه مناسبة تلاوة هذه الآية هنا على كثير من الناس كابن كثير فنفى أن يكون لذكرها وجه» اهـ.

وقال الزرهوني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفجر الساطع» (١١/ ٣٢٩):

«اختلف في معناه على أقوال تأتي والذي اختاره المصنف ـ أي البخاري ـ منها ما قاله سفيان: يستغني به. وأوضحه وكيع بقوله: أي يستغني به عما سواه من أخبار الأمم الماضية كما دل عليه إتيانه بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ [العنكبوت: ٥١] قال البخاري: «قَالَ سُفيَان: تَفسِيره يُستَغنَى بِهِ»». اهـ.

وقال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح صحيح البخاري (١٠/ ٢٦٣):

«وذكر أهل التأويل في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١] أن هذه الآية نزلت في قوم أتوا النبي بكتاب فيه خبر من أخبار الأمم. فالمراد بالآية: الاستغناء بالقرآن عن علم أخبار الأمم على ما ذكره إسحاق بن راهويه عن ابن عيينة، وليس المراد بالآية الاستغناء الذي هو ضد الفقر وإتباع البخاري الترجمة بهذه الآية يدل أن هذا كان مذهبه في الحديث، والله أعلم»اهـ.

وقال صديق حسن خان رَحِمَهُ اللَّهُ في «السراج الوهاج» (١١ /٦٠٧ - ٦٠٨):

«ولا شَكَّ أَنَّ الـمُرَادَ بالتغني مَا كانُوا يتغنون به على عهد النبوة أي قدر ما يحسنون الصوت ويجهرون به لا هذه الأصوات المحدثة للتجويد والتبديل التي يتعاطاها القراء ويحصل لهم بها عوج الفم والأنف والعين والشفتين وزَعَجٌ(١) في الأطراف والأعضاء فهذه بدعة بقيت فيها أصحابها وتفصى وتفلت وانفصل القرآن بسببها من صدور الرجال أشد تفصيا من النعم بعقلها».اهـ.

قال المحقق: «لو قال بدل التجويد: «التنغيم والتمطيط» ونحوهما من لحون الأغنيات لكان أوضح»

قلت: قوله «الأصوات المحدثة للتجويد» أوضح لأن هذه الأصوات والهيئات أحدثت بزعم التجويد وما هي إلا مبالغات وتكلف ما أنزل الله به من سلطان وتغيير لهدي السلف في القراءة وزعموا أنها التجويد بعينه والتجويد منها براء.

(١) الزَّعَجُ: القَلَقُ وقد أَزعَجه الأَمر إِذا أَقلقه.

قال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ في الشعب (٢/ ٥٢٨):

«وذكر جماعة من الأئمة أن المراد بهذا الخبر الاستغناء بالقرآن والتكثير والاكتفاء به». ثم ذكر البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ الآية.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٩/ ٧٠) بعد أن ذكر أن أبا عبيد ارتضي تفسير يتغنى بـ «يستغني» وذكر بيتي الأعشى والمغيرة:

«فَعَلَى هَذَا يَكُون المَعنَى مَن لَم يَستَغنِ بِالقُرآنِ عَن الإكثَار مِن الدُّنيَا فَلَيسَ مِنَّا، أَي عَلَى طَرِيقَتنَا».اهـ.

وقَالَ العظيم آبادي رَحِمَهُ اللَّهُ في «عون المعبود» (٤/ ٣٤٢):

«قَالَ الخَطَّابِيُّ: هَذَا يُتَأَوَّلُ عَلَى وَجهَينِ أَحَدهمَا تَحسِينُ الصَّوت، وَالوَجه الثَّانِي الِاستِغنَاءُ بِالقُرآنِ مِن غَيره، وَإِلَيهِ ذَهَبَ سُفيَانُ بن عُيَينَةَ، وَيُقَالُ تَغَنَّى الرَّجُلُ بِمَعنَى استَغنَى». اهـ.

وقال أيضًا (٤/ ٣٤٣):

«يَعنِي يَستَغنِي بِهِ. كَذَا قَالَ وَكِيعٌ وَسُفيَان بن عُيَينَةَ فِي تَفسِيرِ قَولِهِ ﷺ «مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ» أَي: مَن لَم يَستَغنِ بِالقُرآنِ عَمَّن سِوَاهُ». اهـ.

وقال القاضي ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ في «أحكام القرآن» (٣/ ١١٣) سورة الحجر المسألة الخامسة:

«وَقَد أَعطَينَاك القُرآنَ فَتَغَنَّ بِهِ، فَلَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ أَي لَيسَ مِنَّا مَن رَأَى بِمَا عِندَهُ مِن القُرآنِ أَنَّهُ لَيسَ بِغَنِيٍّ حَتَّى يَطمَحَ بِبَصَرِهِ إلَى زَخَارِفِ الدُّنيَا، وَعِندَهُ مَعَارِفُ المَولَى، حَيِيَ بِالبَاقِي، فَغَنِيَ عَن الفَانِي».اهـ

وقال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح مشكل الآثار» (٣/ ٣٥٠ ـ ٣٥٢ ـ ٣٥٣):

«فَتَأَمَّلنَا مَعنَى هذا الحديث فَوَجَدنَا الناس فيه على قَولَينِ:

فَقَومٌ منهم يَقُولُونَ: أُرِيدَ بِهِ الِاستِغنَاءُ بِالقُرآنِ عَنِ الأَشيَاءِ كُلِّهَا؛ لأَنَّهُ

قد يَكُونُ بِذَلِكَ الجَزَاءُ الجَزِيلُ في الآخِرَةِ، وَالوُصُولُ بِهِ من اللَّهِ ﷻ إلى عَاجِلِ خَيرِهِ في الدُّنيَا.

وَقَومٌ يَقُولُونَ: هو على تَحسِينِ الصَّوتِ لِيَرِقَّ له قَلبُ من يَقرَؤُهُ فَالتَمَسنَا الأَولَى من هَذَينِ القَولَينِ بِمَعنَاهُ...» ثم ذكر حديث أبي لُبَابَةَ بن عبد المُنذِرِ رضي الله عنه من رواية ابنِ أبي مُلَيكَةَ رضي الله عنه وذكر حديث أبي هُرَيرَةَ رضي الله عنه ثم قال:

«ثُمَّ رَجَعنَا إِلَى طَلَبِ الأَولَى بِهِ من القَولَينِ اللَّذَينِ ذَكَرنَا فَكَانَ قَولُهُ ﷺ: «ليس مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ» ذَمًّا لِمَن لم يَفعَل ذلك كَقَولِهِ «ليس مِنَّا من غَشَّنَا» وَ«لَيسَ مِنَّا من رَمَانَا بِاللَّيلِ»...».

إلى أن قال: «**وَوَجَدنَا من قَرَأَ القُرآنَ بِغَيرِ تَحسِينٍ مِنهُ لَهُ صَوتَهُ مُرِيدًا بِقِرَاءَتِهِ إِيَّاهُ الأَحوَالَ المَحمُودَةَ مُثَابًا على ذلك غير مَذمُومٍ عليه**، فَعَقَلنَا بِذَلِكَ أَن يَكُونَ مُرَادُ رسول اللَّهِ ﷺ بِقَولِهِ «**من لم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ**» هذا المَعنَى، وَلَمَّا انتَفَى ذلك المَعنَى عنه، ولم يُقَل في تَأوِيلِهِ غَيرُ هَذَينِ القَولَينِ، وَانتَفَى أَحَدُهُمَا ثَبَتَ الآخَرُ مِنهُمَا وهو الِاستِغنَاءُ بِهِ عن سَائِرِ الأَشيَاءِ سِوَاهُ، وَاَللَّهُ أَعلَمُ بِمُرَادِ رسول اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ القَولِ وَإِيَّاهُ نَسأَلُهُ التَّوفِيقَ». اهـ.

وقال أبو عوانة رحمه الله (**٣٨٧١**):

«حَدَّثَنَا عَلِيُّ بنُ عَبدِ العَزِيزِ، قَالَ: قَالَ أَبُو عُبَيدٍ: قَولُهُ: «**لَم يَتَغَنَّ**» التَّغَنِّي وَالاستِغنَاءُ وَالتَّعَفُّفُ مِن مَسأَلَةِ النَّاسِ، وَاستِئكَالِهِم بِالقُرآنِ، وَأَن يَكُونَ فِي نَفسِهِ بِحَملِهِ القُرآنَ غَنِيًّا، وَإِن كَانَ مِنَ المَالِ مُعدَمًا».

ثم قال: «وَقَولُهُ: «**يَتغَنَّى بِالقُرآنِ**» عِندَنَا تَحزِينُ القِرَاءَةِ، وَأَمَّا قَولُهُ: «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ**» فَلَيسَ مِن هَذَا إِنَّمَا هُوَ الاستِغنَاءُ». اهـ

وَقَد أَنكَرَ الشافعيُّ رحمه الله وَمَن تَبِعَهُ أَنَّ قَولَهُ «**يتغن**» يُحمَلُ عَلَى

الاستِغنَاءِ وَقَالُوا لَو أَرَادَ ذَلِكَ لَقَالَ «لَم يَتَغَانَ» وَقَالُوا أَنَّ يَتَغَنَّى لَم تَأتِ فِي العَرَبِيَّةِ بِمَعنَى يَستَغنِي.

وَقَد تَقَدَّمَ ذِكرُ قَولِ الخَلِيلِ وَالجَوهَرِيِّ وَابنِ مَنظُورٍ وَالفَيُّومِيِّ وَمُلَخَّصُهُ:

أَنَّ «تَغَنَّى» تَأتِي عَلَى مَعَانٍ مِنهَا: «استَغنَى» تَقُولُ تَغَنَّى الرَّجُلُ أي استَغنَى.

وَقَد ذَكَرنَا آنِفًا مَن ذَهَبَ إِلَى هَذَا القَولِ مِنَ السَّلَفِ.

وَحَكَى المَاوَردِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «الحاوى الكبير» (١٧/ ١٩٨) عَن إِيَاسِ بنِ مُعَاوِيَةَ المُزَنِيِّ، أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَتَغَنَّى بِالقُرآنِ، فَقَالَ: «يَا هَذَا إِن كُنتَ لَا بُدَّ مُتَغَنِّيًا فَبِالشِّعرِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلَيسَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ**»، فَقَالَ لَهُ إِيَاسٌ: إِنَّمَا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ: لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَستَغنِ بِالقُرآنِ، أَلَم تَسمَع حَدِيثَهُ الآخَرَ «مَن حَفِظَ القُرآنَ فَظَنَّ أَنَّ أَحَدًا أَغنَى مِنهُ». أَمَا سَمِعتَ قَولَ الشَّاعِرِ:

غَنِينَا بِذِكرِ اللَّهِ عَمَّا نَرَاهُ فِي يَدِ المُتَمَوِّلِينَا[1]

وَقَالَ أَبُو الفَرَجِ ابنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللهُ في «الشرح الكبير» (٢٩/ ٣٨٠):

«وَقَالَ مَعنَى قَولِهِ «مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ» أَي يَستَغنِي بِهِ قَالَ الشَّاعِرُ:

وكنت أمرأ زمنا بالعراق عفيف النياح كثير التغن[2]

قَالَ وَلَو كَانَ الغِنَاءَ بِالصَّوتِ لَكَانَ «مَن لَم يُغَنِ بِالقُرآنِ» وَرَوَي نَحوَ هَذَا التَّفسِيرِ عَنِ ابنِ عُيَينَةَ».اهـ.

---

(١) لم أعثر على قائله.

(٢) سبق تخريجه.

وقَالَ الزَّبِيدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ (٨٥٢٨):

«وَقَالَ أَبُو العبَّاس: الذي حَصَّلناه من حُفَّاظ اللغَةِ في هذا الحديثِ أَنَّه بمعنَى الاستِغناءِ، وبمعنَى التَّطرِيبِ». اهـ.

وَقَالَ الأَزهَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ (٨/ ٢٠١):

«وقالَ أَبُو العبَّاس: الذي حَصَّلناه من حُفَّاظ اللغَةِ في قوله ﷺ: «**كأذنِه لِنَبِيّ يَتَغَنَّى بالقرآنِ**» أنه على مَعنَيَينِ على الاستغناء وعلى التَّطرِيبِ قلت: فمن ذهَب به إلى الاستغناء فهو من الغِنى مقصورٌ ومن ذهَب به إلى التَّطرِيبِ فهو من الغِناء الصَّوتِ ممدودٌ». اهـ.

وقَالَ ابنُ الأَنبَارِيِّ رَحِمَهُ اللهُ في «الزاهر» (٢/ ٧ ـ ٨):

«وقال: «**ما أذِنَ الله لشيءٍ كإذنِهِ لنبيّ يتغنَّى بالقرآنِ**» فمعناه ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يجهر بالقرآن. يقال: قد تغنَّى إذا جَهَرَ، وقد تغنّى إذا استغنى. قال النبي ﷺ: «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ**» فمعناه من لم يستغنِ به يقال قد تغنَّيت تَغَنيًا وتغانيت تَغانيًا إذا استغنيت» ثم استدل على هذا المعنى بقول الأعشى والمغيرة.

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٩/ ٧١) بعد ذكر اعتراض الإمام الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

«وَأَمَّا إنكَاره أَن يَكُون تَغَنَّى بِمَعنَى اِستَغنَى فِي كَلَام العَرَب فَمَردُود، وَمَن حَفِظَ حُجَّة عَلَى مَن لَم يَحفَظ، وَقَد تَقَدَّمَ فِي الجِهَاد فِي حَدِيث الخَيل «وَرَجُل رَبَطَهَا تَعَفُّفًا وَتَغَنِّيًا» وَهَذَا مِن الِاستِغنَاء بِلَا رَيب». اهـ.

قلت: ومما سبق من كلام علماء العربية ومن كلام السلف يتبين أن كلمة يتغنى تأتي بمعنى استغنى ولا عبرة بإنكار من أنكر ذلك لثبوته عن السلف وعلماء العربية بل الحمل على الاستغناء في حديث «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ**» أولى من غيره.

قال القاضي أبو المحاسن الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ في «المعتصر» (٢/ ٢٨١ ـ ٢٨٢):

«**والحمل على الاستغناء أولى لأنه سيق لذم تاركه ومن قرأ القرآن بغير تحسين صوته مريدا بقراءته وجه الله متدبرا فيه فهو مثاب غير مذموم اتفاقا** وما روي أن في زمان الطاعون قال عبس الغفاري: يَا طَاعُونُ خُذنِي إليك ثَلاثًا فقيل له: أَلَم يَقُل رسول الله ﷺ: «**لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوتَ فَإِنَّهُ عِندَ انقِطَاعِ عَمَلِهِ فَلا يُرَدُّ فَيُستَعتَبُ**» فَقَالَ إِنِّي سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**بَادِرُوا بِالمَوتِ سِتًّا إِمرَةَ السُّفَهَاءِ وَكَثرَةَ الشُّرَطِ وَبَيعَ الحُكمِ وَاستِخفَافًا بِالدَّمِ وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ وَنَشوًا يَتَّخِذُونَ القُرآنَ مَزَامِيرَ يُقَدِّمُونَ أَحَدَهُم لِيُغَنِّيَهُم وَإِن كَانَ أَقَلَّ مِنهُم فِقهًا**»[1] لا يضاد ما روينا لأن النشو المذكور اتخذوا أئمة في الصلوات لصوتهم فقط وليسوا أهلا لها إذ السنة تقديم الأعلم ثم الأقدم هجرة ثم الأسن وإن لم يكن لهم حسن الصوت ورغبوا عن ذلك إلى حسن الصوت راغبين عن السنة فذموا فلذا بادر الموت وليس من ذلك من يحسن صوته ليرق قلبه أو قلوب سامعيه في شيء حتى لو اجتمع مستحقان للإمامة وأحدهما حسن الصوت يقدم على الذي ليس معه حسن الصوت فلا تعارض كيف وقد وصفه الله تعالى بأنه لا ينطق عن الهوى وعن عمر بن الخطاب أنه كان إذا رأى أبا موسى قال: ذكرنا يا أبا موسى فيقرأ عنده وكان حسن الصوت». اهـ.

٢ ـ الغناء الممدود وهو تحسين الصوت:

ذهب الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وجماعة من أهل العلم إلى أن «يتغنى» في الأحاديث الآنفة الذكر بمعنى: «يحسن صوته به».

---

(١) سيأتي تخريجه.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح صحيح مسلم» (٦/ ١١٢):

«وَقَوله: «**يَتَغَنَّى بِالقُرآنِ**» مَعنَاهُ عِند الشَّافِعِيّ وَأَصحَابه وَأَكثَر العُلَمَاء مِن الطَّوَائِف وَأَصحَاب الفُنُون: يُحَسِّن صَوته بِهِ». ونقل الكلام بنصه السيوطي في «الديباج» (٢/ ٣٩٢).

وقال الشيرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المهذب» (٣/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤):

«وقال عليه الصلاة والسلام: «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ**» وحمله الشافعي على تحسين الصوت وقال: لو كان المراد به الاستغناء بالقرآن لقال: من لم يتغان بالقرآن».اهـ.

وقال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النهاية» (٣/ ٣٩١):

«وقال الشافعي: معناه تَحسِين ـ في الهروي: تحزين ـ القراءة وتَرقِيقُها ويَشهد له الحديث الآخر «**زَيِّنُوا القرآنَ بأصواتِكم**»». اهـ.

وقد سبق ذكرُ قولِ الخَطَّابِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذَا يُتَأَوَّلُ عَلَى وَجهَينِ أَحَدهمَا تَحسِينُ الصَّوت».

قلت: وليس معنى تحسين الصوت على هذا التأويل القراءة بالمقامات الموسيقية بل هو القراءة بالترتيل المأمور به من التمهل والإفصاح بالنطق عن المعنى المراد مع مراعاة الأحكام التجويدية واستشعار الخوف.

قال الهمذاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التمهيد» (٨٥):

«وجميع هذه الأخبار التي سقناها من ذهب إلى أنها من الغنى المقصور فالمعنى بين لا خفاء فيه **ومن ذهب إلى أنها من الغناء الممدود فليس المراد بذلك هذا التطريب المكروه والتلحين المذموم وإنما المراد به الترتيل وتحسين الصوت وحفظ الحروف ومراعاة الوقوف إلى ما سوى ذلك من تجويد القراءة وتحسين التلاوة مع استشعار الخوف وارتداء الحزن** على ما رواه ابن عمر وابن عباس وجابر وبريدة».اهـ.

ثم ذكر الأحاديث الواردة في تحسين الصوت بالقرآن وقد أوضحنا معناها ولا حجة لهم فيها.

وقال ابن قاسم المرادي رَحِمَهُ اللَّهُ في «المفيد» (١٦٣، ١٦٤):

«واستدل القائلون بجواز القراءة بالألحان بأحاديث منها قوله ﷺ: «**حسنوا أصواتكم بالقرآن**» ولا حجة لهم فيه لأنا نقول بموجبه وتحسين الصوت هو تجويد القراءة وترتيلها ومنها قوله ﷺ: «**ما أذن الله لنبي ما أذن لنبي يتغن بالقرآن**» وقوله ﷺ: «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ**» ولا حجة لهم في ذلك لأن التغني يحتمل ثلاثة معان». وذكرها ثم قال: «وإذا احتمل هذه المعاني فلا حجة لهم فيه ومنها قوله ﷺ: «**زَيِّنُوا القُرآن بِأَصوَاتِكُم**» ولا حجة لهم فيه أيضًا لأن معناه تحسين القراءة وتجويدها».

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبالجملة فالقائلون بجواز قراءة القرآن بالألحان يشترطون عدم الإفراط والزيادة وإشباع الحركات لأن ذلك يؤدي إلى الزيادة في القرآن وهو ممنوع».اهـ.

قلت: فانظر رحمك الله إلى من يتزعمون بدعة القراءة بالمقامات ماذا يفعلون يخضعون القرآن لألحانهم وكأنهم يلحنون نوتة موسيقية فهذا يقرأ بالعجم وآخر بالسيكا وثالث بالصبا وإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال الهمذاني رَحِمَهُ اللَّهُ في «التمهيد» (٤٥):

«فأما ما ورد عنه ﷺ من التغني بالقرآن فإنه ليس من هذه الألحان المحدثة المنكرة بشيء لكنه إن حمل على الاستغناء به عن حطام الدنيا لقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**القرآن غنى لا غنى دونه ولا فقر بعده**»[1]. فمعناه ظاهر لا

---

(١) في الجامع الصغير عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ «القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه» وقال الهيثمي في مجمع الزوائد تحت رقم (١١٦٣١): «رواه الطبراني وفيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف» وضعفه الألباني في الضعيفة(١٥٥٨) وفي ضعيف الجامع (٨٥٦٤)

خفاء به، وإن حمل على الغناء الممدود فإنما المراد به تحسين الصوت والتحزين».اهـ.

وقد وردت أحاديث تدل على تحسين الصوت كحديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**حسنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنًا**». رواه الدارمي (٣٥٤٤) والبيهقي في الشعب (٢١٤١) وصححه الألباني في المشكاة (٢٢٠٨).

وروى ابن أبي شيبة (٣٠٥٦١) عن عُمَرَ رضي الله عنه أنه قال: «**حَسِّنُوا أصوَاتَكُم بِالقُرآنِ**».

وروى أيضًا (٣٠٥٦٦) عن مسروق رحمه الله أنه قال: «**كنا مع أبى موسى فجئنا الليل إلى بستان خرب فقام من الليل فقرأ قراءة حسنة**».

قلت: وهذا التحسين الوارد يكون على ما اقتضته الطبيعة وسمحت به العربية لا ما أحدثه البطالون الأكالون من إيقاعات وأنغام تُعَلَّمُ كما تُعَلَّمُ ألحان الغناء.

ولقد رأينا من يعلم القراء المعاصرين هذه المقامات ويفعل كما يفعل الموسيقار من تحريك اليد رفعا وخفضا إشارة إلى مقامة معينة وإلى درجة صوتية معينة كأنه يلحن مقطوعة موسيقية فأصبحت لا تفرق بين قراءة القرآن وغناء المغنيين وإلى الله المشتكي.

٣ ـ التحزن:

ذهب بعض أهل العلم منهم الليث وطاووس والشافعي في قول ثانٍ له وابن حبان وكذا أبو عبيد إلى أن «يتغنى» في حديث: «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ**» بمعنى: «يتحزن ويتخشع».

أخرج أبو عوانة (٣٨٧٤) والمروزي في «مختصر قيام الليل» (١٣٩) عن الليث رحمه الله أنه قال: «يتغنى: يتحزن به». وزاد أبو عوانة «ويرقق به قلبه».

وأخرج ابن أبي شيبة (٣٠٤٤٢) عن طاووس رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «كان يقال: أحسن الناس صوتا بالقرآن أخشاهم لله».

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٠٤) عن حرملة قال: «سمعت الشافعي يقول في تفسير الحديث «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يتَغَنَّ بِالقُرآنِ**». قَالَ: يَتَحَزَّنُ بِهِ، وَيَتَرَنَّمُ بِهِ».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح مسلم» (٦/ ١١٣):

«وَقَالَ الشَّافِعِيّ وَمُوَافِقُوهُ: مَعنَاهُ تَحزِين القِرَاءَة وَتَرقِيقهَا. وَاستَدَلُّوا بِالحَدِيثِ الآخَر: «زَيِّنُوا القُرآن بِأَصوَاتِكُم»». اهـ.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في «غريب الحديث» (٢/ ١٦٥):

«وقال الشافِعَيُّ معناه تَحزِينُ القراءةِ وتَرقَيقُها وهذا أولى لِقَوله «**ما أَذِنَ اللَّهُ لشيءٍ ما أَذِنَ لنبيٍّ يَتَغَنَّى بالقرآنِ يَجهَرُ**»» اهـ.

وأخرج البيهقي في «السنن» (٢٠١٨٧) عن الربيع يَقُولُ: «سَمِعتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ**». فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: لِيَستَغنِي بِهِ. فَقَالَ: لَا لَيسَ هَذَا مَعنَاهُ، ومَعنَاهُ يَقرَؤُهُ حَدرًا وَتَحزِينًا». وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٤١) بلفظ «إِنَّهُ لَيسَ أَن يَستَغنِيَ بِهِ، وَلَكِنَّهُ يَقرَؤُهُ حَدرًا وَتَحزِينًا».

قال أبو عبيد رَحِمَهُ اللَّهُ في «غريب الحديث» (١/ ٢٨٢):

«وقوله: «يتغنى بالقرآن» إنما مذهبه عندنا تحزين القراءة». اهـ.

وقال ابن حبان في «الإحسان» (٣/ ٢٩ ـ ٣٠):

«قوله ﷺ: «يتغنى بالقرآن»، يريد يتحزن به، وليس هذا من الغنية، ولو كان ذلك من الغنية لقال: يتغانى به، ولم يقل: يتغنى به، وليس التحزن بالقرآن نقاء الجرم[1]، وطيب الصوت، وطاعة اللهوات بأنواع النغم

---

(١) جرمُ الصَّوتِ: جَهارَتُه.

بوفاق الوقاع، ولكن التحزن بالقرآن هو أن يقارنه شيئان: الأسف والتلهف: الأسف على ما وقع من التقصير، والتلهف على ما يؤمل من التوقير، فإذا تألم القلب وتوجع، وتحزن الصوت ورجع، بدر الجفن بالدموع، والقلب بالدموع، فحينئذ يستلذ المتهجد بالمناجاة، ويفر من الخلق إلى وكر الخلوات، رجاء غفران السالف من الذنوب، والتجاوز عن الجنايات والعيوب، فنسأل الله التوفيق له».اهـ.

واستدل هؤلاء بأحاديث منها ما أخرجه الدارمي **(٣٥٣٢)** وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «المشكاة» **(٢٢٠٩)** بمجموع طرقه عَن طَاوُسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَحسَنُ صَوتًا لِلقُرآنِ وَأَحسَنُ قِرَاءَةً؟ قَالَ: «**مَن إِذَا سَمِعتَهُ يَقرَأُ أُرِيتَ أَنَّهُ يَخشَى اللَّهَ**». قَالَ طَاوُسٌ: وَكَانَ طَلقٌ كَذَلِكَ».

قال ابن الباذش رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإقناع» **(٥٥٩)**:

«قال أبو جعفر: قال عبد الملك بن حبيب: ولا بأس أن يحزن القارئ قراءته من غير تطريب ولا ترجيع يشبه الغناء في مقاطعه ومكاسره أو تحزينا فاحشا يشبه النوح أو يميت به حروفه فلا خير في ذلك وأما ما سهل منه فذلك مستحسن من ذوي الصوت الحسن قاله مطرف وابن الماجشون عن مالك». اهـ.

٤ ـ الجهر به:

ذهب فريق آخر من أهل العلم إلى أن «يتغنى» في الأحاديث الآنفة الذكر بمعنى: «يجهر به» واستدلوا بحديث «**مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ أَن يَتَغَنَّى بِالقُرآنِ**» وفي بعض رواياته «**يجهر به**».

وقد بين البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في رواية عنده: أنها ليست من لفظ النبي ﷺ فقد روى **(٧٤٨٢)** عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ «**ما أَذِنَ اللَّهُ لِشَيءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَن يَتَغَنَّى بِالقُرآنِ**» .وقال صاحب له: **يريد أن يجهر به**».

قال القسطلاني رَحِمَهُ اللَّهُ في «إرشاد الساري» (٧/ ٤٦٩):

««**قال صاحب له**» أي لأبي سلمة «يريد» بقوله يتغنى به «**يجهر به**» والصاحب المذكور هو عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب كما بيّنه الزبيدي عن ابن شهاب في هذا الحديث فيما أخرجه ابن أبي داود عن محمد بن يحيى الذهلي في الزهريات».

وجاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٧٥٢٧): «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ**» «وزاد غيره: **يجهر به**».

وقد جزم الحليمي رَحِمَهُ اللَّهُ بِأنها من قَول أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٩/ ٧١):

«وفي الجملة ما فسر به ابن عيينة ليس بمدفوع، وإن كانت ظواهر الأخبار ترجح أن المراد تحسين الصوت ويؤيده قوله «يجهر به» فإنها إن كانت مرفوعة قامت الحجة، وإن كانت غير مرفوعة فالراوي أعرف بمعنى الخبر من غيره ولا سيما إذا كان فقيها، **وقد جزم الحليمي بأنها من قول أبي هريرة** والعرب تقول: سمعت فلانا يتغنى بكذا: أي يجهر به».اهـ.

وذكر الهمذاني رَحِمَهُ اللَّهُ في «التمهيد» (٨٣) هذا القول عن الوليد بن مسلم قال: «الغناء بالقرآن الجهر به» وكذا ابنُ مُفلِحٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الآداب الشرعية» (٢/ ٢٩٩) عنه بلفظ «يَتَغَنَّى بِالقُرآنِ يَجهَرُ بِهِ» ثم قال ابنُ مُفلِحٍ: «وَهَذَا قَولُ الشَّافِعِيِّ وَرَوَاهُ إِسحَاقُ بنُ إبرَاهِيمَ عَن أَحمَدَ»اهـ.

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ فيما نقله عنه ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه لصحيح البخاري (١٠/ ٢٥٩):

«والعرب تقول: سمعت فلانًا يغنى بهذا الحديث ـ أي يجهر به ـ ويصرح لا يكني».اهـ.

وقال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح سنن أبي داود» (٥/ ٣٨٨):

«وكل من رفع صوته بشيء معلنًا به فقد تغنى به». اهـ.

٥ ـ التلذذ:

ذهب فريق آخر من أهل العلم منهم ابن رجب والنفراوي إلى أن المقصود بـ «يتغنى» في الأحاديث الآنفة: «أن يلتذ به كما يلتذ أهل الغناء بالغناء».

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه لصحيح البخاري المسمى «فتح الباري» (٨/ ٤٣٥):

«فأما تغني المؤمن فإنما ينبغي أن يكون بالقرآن، كما قال النبي ﷺ: «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ**». والمراد: أنه يجعله عوضا عن الغناء فيطرب به ويلتذ، ويجد فيه راحة قلبه وغذاء روحه، كما يجد غيره ذلك في الغناء بالشعر». اهـ.

ونقل ابن الأثير في «النهاية» (٣/ ٣٩١) والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٤٨٦) باختلاف في اللفظ عن ابن الأعرابي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانت العرب تَتَغَنَّى [بالرُّكبانِيِّ] إذا رَكِبَت [الإبل] وَإِذَا جَلَسَت فِي الأَفنِيَةِ وَعَلَى أَكثَر أَحوَالهَا، فَلَمَّا نَزَلَ القُرآن أَحَبَّ النَّبِيّ ﷺ أن تكون هَجِيرَاهُم بالقُرآن مَكَان التَّغَنِّي]بِالرَّكبَانِيِّ. [». الزيادة الأولى والأخيرة للابن الأثير والثانية للبغوي. والرُّكبانِيِّ: هو نشيد بالمدّ والتمطيط.

قال أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفواكه الدواني» (٨/ ١٦٠):

«لِأَنَّ مَعنَاهُ لَيسَ مِنَّا مِن لَم يَتَلَذَّذ بِسَمَاعِهِ لِرِقَّةِ قَلبِهِ وَشَوقِهِ إِلَى مَا عِندَ رَبِّهِ، كَمَا يُلتَذُّ أَهلُ الغَوَانِي بِسَمَاعِ غَوَانِيهِم» اهـ.

وحاول كل من ابن حجر والمطيعي الجمع بين كل هذه التأويلات فقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٩/ ٧٢):

«وَالحَاصِل أَنَّهُ يُمكِن الجَمع بَين أَكثَر التَّأوِيلَات المَذكُورَة، وَهُوَ أَنَّهُ

يُحَسِّن بِهِ صَوته جَاهِرًا بِهِ مُتَرَنِّمًا عَلَى طَرِيق التَّحَزُّن، مُستَغنِيًا بِهِ عَن غَيره مِن الأَخبَار، طَالِبًا بِهِ غِنَى النَّفس رَاجِيًا بِهِ غِنَى اليَد، وَقَد نَظَمت ذَلِكَ فِي بَيتَينِ:

تَغَنَّ بِالقُرآنِ حَسِّن بِهِ الصَّو ... ت حَزِينًا جَاهِرًا رَنِّمِ
وَاستَغنِ عَن كُتبِ الأُلَى طَالِبًا ... غِنَى يَد وَالنَّفس ثُمَّ الزَمِ» اهـ

وقال المطيعي رَحِمَهُ اللهُ في تكملة «المجموع شرح المهذب» (٢٣/ ٦٩):

«والأولى الجمع بين التفسيرين الاستغناء به والتأدب بآدابه وتحسين الصوت به وترقيقه ليتعظ به من يسمعه ويتعظ هو» اهـ.





خلاصة تأويل التغني الوارد في الأحاديث

وخلاصة ما وصلت إليه في بحثي هذا أن الأحاديث الواردة في التغني بالقرآن على ضربين:

الضرب الأول: أحاديث تنفي هدي الرسول ﷺ عن من لم يتغن بالقرآن:

وهو حديث «ليس مِنَّا مَن لم يَتَغَنَّ بالقرآنِ».

الضرب الثاني: أحاديث تذكر إذن الله واستماعه لنبي يتغنى بالقرآن:

وهو حديث «مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيّ أَن يَتَغَنَّى بِالقُرآنِ».

فالتغني في أحاديث الضرب الأول لا يحمل إلا على الاستغناء كما قال ابن عيينة وابن الجراح وهو ما عليه البخاري وابن الأنباري وابن رشد رحمهم الله تعالى ولا يجوز أن يحمل على التحسين فإن ذلك فيه تكليف الأمة بما لا تطيق وكنت أرى أن الحمل على معنى الاستغناء أولى وأسلم وتحسين الصوت يستدل له بأدلة أخرى وقد وجدت من قال بذلك من السابقين فقال القاضي أبو المحاسن الحنفي رحمه الله في «المعتصر» (٢/٢٨١):

«والحمل على الاستغناء أولى لأنه سيق لذم تاركه ومن قرأ القرآن بغير تحسين صوته مريدا بقراءاته وجه الله متدبرا فيه فهو مثاب غير مذموم اتفاقا» اهـ.

وقال أبو عبيد رَحِمَهُ اللهُ في «غريب الحديث» (١/ ٢٩٩):

«ولو كان وجهه كما يتأوله بعض الناس أنه الترجيع بالقراءة وحسن الصوت لكانت العقوبة قد عظمت في ترك ذلك أن يكون: من لم يرجع صوته بالقرآن فليس من النبي ﷺ حين قال: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**». وهذا لا وجه له».اهـ.

وقال ابن رشد رَحِمَهُ اللهُ في «البيان والتحصيل» (١٧/ ٢٠٤):

«وأما ما روي من أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**». فقيل معناه: من لم يستغن بالقرآن أي من لم ير أنه به أفضل حالًا من الغناء بغناه. وقيل معناه: من لم يحسن صوته بالقرآن استدعاء لرقة قلبه بذلك. وقد قيل لابن أبي مليكة: أحد رواة الحديث: فمن لم يكن له حلق حسن. قال: يحسنه ما استطاع والتأويل الأول أولى، لأن قوله في الحديث: «**ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن**». يدل على أنه من لم يفعل ذلك فهو مذموم، وليس من ابتغى ثواب الله من غير أن يحسن به صوته مذمومًا على فعله». اهـ.

ويمكن أن يكون على سبيل المشاكلة فيكون ليس منا من لم يلتذ بالقرآن كما يلتذ أهل الغناء بغنائهم فعلى المسلم أن يكون القرآن له شربا ومغسلا كما قال الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ في الحرز:

«**وَكانَ لَهُ القُرآنُ شِربًا وَمَغسَلاَ**»

وقد كان النبي ﷺ كذلك حيث كان يجهر بالقرآن في كل أحواله حتى وهو راكب دابته قال أبو جمرة - غفر الله له - فيما نقله عنه ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٩/ ٩٢):

«قال: وفي الحديث ملازمته ﷺ للعبادة لأنه حالة ركوبه الناقة وهو يسير لم يترك العبادة بالتلاوة، وفي جهره بذلك إرشاد إلى أن الجهر بالعبادة قد يكون في بعض المواضع أفضل من الإسرار، وهو عند التعليم وإيقاظ الغافل ونحو ذلك». اهـ.

أما كلام الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومن تبعه في إنكار تأويل ابن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن «يتغنى» بمعنى «يستغني» فهذا مردود لأنه ثبت أن يتغنى تأتي على معانٍ منها «يستغني» كما في حديث الرسول ﷺ وفي كلام العرب.

وكلامُ أئمة اللغة يؤيد ويدعم قول ابن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأما ما سطروه من إنكار واستشهدوا بحديث: «**ما أذِنَ الله لشيءٍ كإذنِهِ لنبيٍّ يتغنَّى بالقرآنِ**» وأطنبوا في ذلك فهذا لأنهم وَهِـمُوا أن معنى «**يتغنى**» في الحديثين بمعنى واحد وهذا محال فسياق الحديث الأول يختلف عن الحديث الثاني **فالأول ينفي هدي النبي ﷺ عن من لم يتغن بالقرآن والثاني يخبر عن إذن الله لنبيه ﷺ في التغني بالقرآن.**

وانظر ـ رحمك الله تعالى ـ إلى صنيع الإمام وكيع بن الجراح رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ما روى حديث «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ**» اتبعه «**يستغني به**» وعندما روى حديث «**ما أذِنَ الله لشيءٍ كإذنِهِ**» اتبعه «**يجهر به**» هذا وإن دل على شيء فإنما يدل على فقهه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأنه يفرق بين معنى التغني في الحديثين وهذا ملحظ دقيق قلَّ من تنبه إليه فانظر رحمك الله إلى كلام الإمامين الجليلين الطحاوي وأبي عبيد رحمهما الله تلحظ هذا الفرق في كلامهما وإن لم يصرحا به.

قال أبو عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «غريب الحديث» (١/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣):

«وقوله: يتغنى بالقرآن إنما مذهبه عندنا تحزين القراءة» إلى أن قال: «وأما قوله: «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ**» فليس هو عندي من هذا إنما هو من الاستغناء» اهـ.

وأصرح من ذلك كلام ابن الأنباري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الزاهر» (٢/ ٧) حيث قال:

«وقال «**ما أذِنَ الله لشيءٍ كإذنِهِ لنبيٍّ يتغنَّى بالقرآنِ**» فمعناه ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يجهر بالقرآن يقال: قد تغنَّى إذا جَهَرَ، وقد تغنّى إذا استغنى. قال النبي: «**ليس مِنّا مَن لم يتغنَّ بِالقرآنِ**» فمعناه من لم يستغنِ به يقال: قد تغنَّيت تَغَنيًا وتغانيت تَغانيًا إذا استغنيت» اهـ.

وقال الخلال رَحِمَهُ اللهُ في «الأمر بالمعروف» (٢١٤) عن إسحاق قال: «قال لي أبو عبد الله يوما وكنت سألته عنه: هل تدري ما معنى: «**من لم يتغن بالقرآن فليس منا**»؟ قال: يرفع صوته، فهذا معناه: إذا رفع صوته فقد تغنى به. سألت أحمد بن يحيى النحوي ثعلب عن قوله: ليس منا من لم يتغن بالقرآن؟ فقال بعضهم: إلى أنه الغناء، يترنم به. وبعضهم يذهب إلى الاستغناء، وهو الذي عليه العمل...»اهـ.

وأورد البخاري في صحيحه: «باب من لم يتغن بالقرآن وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]» ثم ذكر حديث «**لم يأذن الله لشيء ما أذن للنبي ﷺ يتغنى بالقرآن. قال صاحب له: يجهر به**».

ويفهم من هذا أن البخاري في حديث «**ليس مِنَّا مَن لم يَتَغَنَّ بالقرآنِ**» على أن التغني بمعنى الاستغناء وأنه في حديث «**لم يأذن الله لشيء ما أذن للنبي ﷺ يتغنى بالقرآن**» على أن التغني بمعنى الجهر به وذكر حديث «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**» وذكر تأويل ابن عيينة ولكن يشكل الأمر أنه ذكر حديث «**ما أذِنَ الله لشيءٍ كإذنِهِ لنبيٍّ يتغنَّى بالقرآنِ**» ثم أتبعه بقوله «قال سفيان: يستغني به».

ولهذا تجد بعض شراح الصحيح ينكرون على البخاري ذكره لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١] بعد ترجمته «**باب من لم يتغن بالقرآن**» كأنه يفسره بالاستغناء ويا للعجب لماذا ينكرون عليه ما ذهب إليه قبل أن يمعنوا النظر في السبب في إيراده الآية بعد الحديث فكان لزامًا عليهم أولًا قبل الإنكار أن يمعنوا النظر فلو أمعنوا النظر لعرفوا لماذا ذكر البخاري الآية ولو دققوا النظر لوجدوا أن وكيع بن الجراح هو بعينه راوي الحديثين وقد ذكر تأويله عند الحديث الأول فقط وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه يفرق بينهما في المعنى ويوضح ذلك ما ساقه ابن حجر نقلا عن الإمام الإسماعيلي عن ابن

عيينة أنه قال «يقولون: إذا رفع صوته فقد تغنى» ثم قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٩/ ٧١): «قلت: الذي نقل عنه أنه بمعنى يستغنى أتقن لحديثه، وقد نقل أبو داود عنه مثله، ويمكن الجمع بينهما بأن تفسير يستغني من جهته ويرفع عن غيره». اهـ.

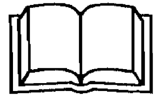
ويتبين مما سبق أنهما على الاستغناء في الأول، وعلى رفع الصوت في الثاني.

وأما التغني في أحاديث الضرب الثاني فتفسر على رفع الصوت بالقرآن وتحسينه وكذا التحزن والتخشع.

وبالنظر إلى أحاديث التغني نجد أنها تخلو من أي أمر أو حث على التغني بل جل ما فيها هو أذن الله لمن صوته حسن أن يجهر به.

وخلاصة ما سبق: أنه لا علاقة لأحاديث التغني وما يحدث الآن من قراءة القرآن بألحان أهل الفسق والمجون وذلك بإدخال المقامات الموسيقية في القراءة فجملة ما في أقوال القائلين بالجواز من السلف هو تحسين الصوت بشيء زائد على قدر الطبيعة دون تكلف أو تعلم.



الأحاديث الواردة في تحسين الصوت بالقرآن

الحديث الأول:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**زَيِّنُوا القُرآنَ بِأَصوَاتِكُم، [فإنَّ الصَّوتَ الحَسَنَ يَزِيدُ القُرآنَ حُسَنًا]**».

أخرجه بدون الزيادة البخاري معلقًا في صحيحه (٤١٥) كتاب التوحيد (٥٢) وأبو داود (١٤٥٥) والنَسائي(١٠١٤، ١٠١٥) وابن ماجه (١٣٤٢) وأحمد (١٨٤٩٤) والحاكم من رقم (٢١٥١) إلى (٢١٨٢) وابن أبي شيبة (٨٨٢١) و(٣٠٤٣٤) والبيهقي في «السنن» (٢٠١٨٨) وفي «الشعب» (١٩٥٤) وأبو يعلى (١٦٨٦) والدارمي (٣٥٤٣) عن البراء بن عازب رضي الله عنه وابن حبان عن البراء وأبي هريرة رضي الله عنهما.

وصححه الشيخ المحدث ناصر الدين الألباني رحمه الله بدون الزيادة في «صحيح أبي داود» (١٤٧١) و«صحيح النسائي» (١٠١٤، ١٠١٥) و«صحيح ابن ماجة» (١١١١) و«**المشكاة**» (٢١٩٩) و«صحيح الجامع» (٣٥٨٠).

وأخرجه بالزيادة الحاكم (٢١٧٨) والبيهقي في «الشعب» (١٩٥٥) والدارمي (٣٥٤٤) ولكن بلفظ «حسنوا» مكان «زينوا» عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

قال الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله في هذا الحديث بالزيادة في «الصحيحة» (٧٧١): «قلت: سكت عنه الحاكم والذهبي، وإسناده جيد على شرط مسلم» وصححه في «صحيح الجامع» (٣٥٨١).

الحديث الثاني:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**حُسنُ الصَّوتِ زِينَةُ القُرآنِ**».

أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٣٦) والطبراني في «الكبير» (١٠٠٢٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه ولفظ أبي نعيم: عَن عَلقَمَةَ بن قيس، قَالَ: كُنتُ رَجُلًا حَسَنَ الصَّوتِ بِالقُرآنِ، فَكَانَ عَبدُ اللهِ بنُ مَسعُودٍ يَبعَثُ إِلَيَّ فَآتِيهِ، فَيَقُولُ لِي عَبدُ اللهِ: رَتِّل فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، فَإِنِّي سَمِعتُ رَسُولَ لِلَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**حُسنُ الصَّوتِ زِينَةُ القُرآنِ**».

قال الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٤/ ٤٢٩) تحت رقم (١٨١٥): «قلت: وهذا إسناد حسن، مدار طرقه على حماد بن أبي سليمان وهو صدوق له أوهام كما في «التقريب»، ومن فوقه من رجال الشيخين. ويشهد له حديث البراء: «**زينوا القرآن بأصواتكم**». وهو مخرج في «صحيح أبي داود»» اهـ.





المقصود
بتحسين الصوت وتزيين القراءة

أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت استنادا إلى هذه الأحاديث وإلى غيرها وليس فيها ما يدل على القراءة بالألحان أو المقامات الموسيقية.

قال الهمذاني رَحِمَهُ اللهُ في «التمهيد» (٣٤ ـ ٣٥) بعد أن ذكر حديث «**زَيِّنوا القُرآنَ بِأَصوَاتِكم**»:

«ومعنى الأحاديث التي سقناها قبل يؤول أيضًا إلى هذا المعنى وذاك أن القلب كثير في كلام العرب يقال عرضت الناقة على الحوض والمعنى عرضت الحوض على الناقة...» إلى أن قال: «ويعضد المعنى الذي ذهبنا إليه حديث حذيفة بن اليمان العبسي وعمرو بن عبسة السلمي».

وذكر أحاديث بعضها ضعيف وبعضها صحيح منها حديث «**بادروا بالموت ستًا...**» وذكر منها «**ونشء يتخذون القرآن مزامير يقدمونه لتغنيهم وإن كان أقل منهم فقهًا**».اهـ.

وقال العظيم آبادي في «عون المعبود» (٤/ ٣٤١):

««**زَيِّنُوا القُرآن بِأَصوَاتِكُم**» قَالَ الخَطَّابِيُّ: مَعنَاهُ زَيِّنُوا أَصوَاتَكُم بِالقُرآنِ، هَكَذَا فَسَّرَهُ غَير وَاحِد مِن أَئِمَّة الحَدِيث، وَزَعَمُوا أَنَّهُ مِن بَابِ المَقلُوبِ كَمَا يُقَالُ عَرَضتُ الحَوضَ عَلَى النَّاقَةِ قَالَ وَرَوَاهُ مَعمَرٌ عَن مَنصُور عَن طَلحَةَ فَقَدَّمَ الأَصوَات عَلَى القُرآن وَهُوَ الصَّحِيح، ثُمَّ أَسنَدَ مِن طَرِيق

عَبد الرَّازِق حَدَّثَنَا مَعمَر عَن مَنصُور عَن طَلحَة عَن عَبد الرَّحمَن بن عَوسَجَة عَن البَرَاء بن عَازِب أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**زَيّنُوا أصوَاتَكُم بِالقُرآنِ**»». اهـ.

وقال البغوي رحمه الله في «شرح السنة» (٣/ ٣٧٣):

«قوله «**زَيّنُوا القُرآن بِأَصوَاتِكُم**» قيل معناه: زينوا أصواتكم بالقرآن وهو من باب المقلوب كقولهم: عرضت الناقة على الحوض أي: عرضت الحوض على الناقة وروى مَعمَر عَن مَنصُور عَن طَلحَة وقَالَ: «**زَيّنُوا أَصوَاتَكُم بِالقُرآنِ**» روى عن شعبة قال نهاني أيوب أن أحدث «**زَيّنُوا أصوَاتَكُم بِالقُرآنِ**»» اهـ.

فعلى هذا يكون معنى حديث «**زَيّنُوا القُرآن بِأَصوَاتِكُم**» أي زَيِّنُوا أَصوَاتَكُم بِالقُرآنِ واستأنس القائلون بالقلب بحديث البراء رضي الله عنه بلفظ «**زَيّنُوا أَصوَاتَكُم بِالقُرآنِ**» وقد أخرجه عبد الرزاق (٤١٧٦) وأبو عوانة (٣٨٩٣) وقال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٥٣٢٦): «**منكر مقلوب**».

وبالنسبة لنهي أيوب عن التحديث بحديث تزيين الصوت فقد قال أبو عبيد رحمه الله في غريب الحديث (١/ ٢٨٣):

«وإنما كره أيوب ذلك مخافة أن يتأول على غير وجهه» اهـ.

وقال في «فضائل القرآن» (١٦٧):

«وإنما كره أيوب فيما نرى أن يتأول الناس بهذا الحديث الرخصة من رسول الله ﷺ في هذه الألحان المبتدعة، ولهذا نهاه أن يحدث به» اهـ.

وقال الهمذاني رحمه الله في «التمهيد» (٣٢):

«وقد ذهب كثير من أصحابنا إلى أن المعنى «زَيِّنُوا أَصوَاتَكُم بِالقُرآنِ»»اهـ.

فعلى هذا يحتمل أن يكون من قبيل القلب الموجود في لغة العرب كما ذكر الهمذاني رحمه الله ويحتمل أن يكون على وجهه دون قلب قال ابن الأثير رحمه الله في «النهاية» (٢/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦):

«**زَيِّنوا القرآن بأصواتِكم**» قيل هو مَقلوبٌ أي: «زَيِّنوا أصواتَكم بالقُرآن». والمعنى: الهَجُوا بقِراءتِه وتَزَيِّنُوا به وليس ذَلك على تَطريب القَول والتَّحزين كقوله «**ليسَ مِنَّا من لم يَتَغَنَّ بالقُرآن**» أي يَلهج بِتلاوته كما يلهج سائر النَّاس بالغِناء والطَّرَب. هكذا قال الهرَوى والخطَّابي ومن تقدَّمهما. وقال آخَرُون: لا حاجةَ إلى القَلب وإنما معناه الحثّ على التَّرتيل الذي أمر به في قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] فكأنَّ الزِّينة للمُرَتّل لا لِلقُرآن كما يُقال: ويلٌ للشِّعر من رواية السّوءِ فهو رَاجعٌ إلى الرَّاوى لا للشِّعر فكأنَّه تنبيهٌ للمُقَصِّر في الرِّواية على ما يُعَاب عليه من اللَّحن والتَّصحيف وسُوء الأدَاء وَحَثّ لغيره على التَّوَقّي من ذلك فكذلك قولُه «**زينوا القُرآن**» يَدُل على ما يُزَيَّن به من الترتيل والتَّدبُّر ومُراعاة الإعرَاب وقيل أراد بالقُرآن القِراءةَ فهو مصدر قَرَأَ يقرأُ قِرَاءة وقُرآنا: أي زيِّنوا قرَاءتَكم القُرآن بأصواتِكم. ويشهدُ لصحَّة هذا وأن القَلبَ لا وجه له حديث أبي موسى أنَّ النبي ﷺ استمع إلى قِرَاءتِه فقال: «**لقد أُتِيتَ مِزمارا من مَزامير آل دَاود. فقال: لو علمتُ أنك تَستَمِع لحبَّرته لك تَحبيرًا**»[١] أي حَسَّنتُ قِراءته وزَيَّنتُها ويؤيِّد ذلك تأييدًا لا شُبهةَ فيه حديث ابن عباس **أن رسول الله** ﷺ **قال**: «**لِكُلّ شيءٍ حلية وحِلية القُرآن حُسنُ الصوت**»[٢] والله أعلم» اهـ.

وَقَالَ العَينِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «شرح سنن أبي داود» (٥/ ٣٨٤):

«وَقَالَ آخَرُونَ: لَا حَاجَةَ إِلَى القَلبِ وَإِنَّمَا مَعنَاهُ: الحَثُّ عَلَى التَّرَسُّلِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [المزمل: ٤] فَكَأَنَّ الزِّينَةَ للمُرَتِّلِ لَا للقُرآنِ كَمَا يُقَالُ: وَيلٌ لِلشِّعرِ مِن رُوَاةِ السُّوءِ فَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى الرَّاوِي لَا إِلَى الشِّعرِ فَهُوَ حَثٌّ عَلَى مَا يُزَيِّنُ مِن التَّرتِيلِ وَالتَّدَبُّرِ وَمُرَاعَاةِ الإِعرَابِ وَقِيلَ: أَرَادَ بِالقُرآنِ القِرَاءَةَ أَي: زَيِّنُوا قِرَاءَتَكُم بِأَصوَاتِكُم» اهـ.

---

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٥٣١) وضعفه الألباني في«السلسلة الضعيفة» (٤٣٢٢)

وقَالَ المُرَادِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «المفيد» (١٦٣):

«وَاستَدَلَّ القائِلونَ بِجَوازِ القِراءةِ بِالألحانِ بِأَحادِيثَ مِنهَا قَولُهُ ﷺ «حَسّنُوا أَصوَاتَكُم بِالقُرآنِ»[1] وَلَا حُجَّةَ لَهُم فِيهِ لأَنَّا نَقولُ بِمُوجَبِهِ وَتَحسِينُ الصَّوتِ هُوَ تَجوِيدُ القِراءةِ وَتَرتِيلُهَا»اهـ.

وَنَخلُصُ مِن ذَلِكَ أَنَّ المَقصُودَ بِتَزيِينِ الصَّوتِ وَتَحسِينِهِ بِالقُرآنِ هُوَ تَحسِينُ القِراءةِ وَذَلِكَ بِتَجوِيدِهَا وترتيلها.

قال الزرهوني رَحِمَهُ اللهُ في «الفجر الساطع» (١٦/ ٣١٤):

«أَي بِتَحسِينِهِ بِالتَّرتِيلِ وَالجَهرِ وَالتَّفخِيمِ وِالتَّرقِيقِ وَهُوَ غَيرُ قِرَاءَةِ الأَلحَانِ قَالَه الأُبِيُّ»اهـ.

وقَالَ الهَمَذَانِّي رَحِمَهُ اللهُ في «التمهيد» (٣٢):

«وَتَزيِينُ القِرَاءَةِ هُوَ إِعطَاءُ الحروف حقوقها على ما بينا قبل لا ما أحدثه العُمى المقبريون والغُثْر الأعجميون لأن ذلك يقضى إلى تغيير المقاصد والمعاني ويقرب قراءة الوحي المنزل من ألحان الأغاني» اهـ.

وقال رَحِمَهُ اللهُ (٢٢ ـ ٢٣):

«إن تجويد القراءة وتجبيرها هو تصحيح الحروف وتقويمها وإخراجها من مخارجها وترتيبها مراتبها وردها إلى أصولها وإلحاقها بنظائرها من غير إفراط يؤدى إلى التشنيع ولا نقصان يفضى إلى التضييع بل بملاحظة الرفق والسهولة ومجانبة الشدة والصعوبة ومتى ما أخل التالي بشيء من وصفها

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٣٠٥٦١) موقوفا على عمر ورواه الطبراني في«الكبير» (١٢٦٤٣) عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ «أحسنوا الأصوات بالقرآن». قال الألباني في«السلسلة الضعيفة» (١١/ ٥٢٨) تحت رقم (٥٣٢٦) تعليقا على كلام الهيثمي في «مجمع الزوائد»: «رواه الطبراني بإسنادين، وفي أحدهما عبد الله بن خراش، وثقه ابن حبان وقال: «ربما أخطأ»، ووثقه البخاري وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح! فأقول ـ الألباني ـ: كلا الإسنادين ضعيف جدًا؛ فلا يفرح بهما ولا يستشهد بهما مطلقًا؛ لشدة ضعف رواتهما؛ فكيف مع المخالفة لأحاديث الثقات، كما هو الشأن هنا؟!».اهـ.

فقد أزالها عن حدها ورصفها والتجويد زينة القراءة وحلية التلاوة وقد قال رسول الله ﷺ: «**زَيِّنُوا القُرآنَ بِأَصوَاتِكُم**»»اهـ.

وقال العظيم آبادي رَحِمَهُ اللَّهُ في «عون المعبود» (٤/ ٣٤١) والعيني رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح سنن أبي داود» (٥/ ٣٨٣):

«وَالمَعنَى اشغَلُوا أَصوَاتَكُم بِالقُرآنِ وَالهَجُوا بِقِرَاءَتِهِ وَاتَّخِذُوهُ شِعَارًا وَزِينَة».اهـ وزاد العيني: «وليس ذلك على تطريب القول».اهـ.

وقال الخلال رَحِمَهُ اللَّهُ في «الأمر بالمعروف» (١٠٢) والآجري رَحِمَهُ اللَّهُ في «أخلاقُ حَمَلَةِ القُرآنِ» ص(١٦٠) رقم (٨٢):

«وأخبرني محمد بن علي، حدثنا صالح، أنه قال لأبيه: «**زَيِّنُوا القُرآنَ بِأَصوَاتِكُم**»، ما معناه؟ قال: «التزيين أن تحسنه»»اهـ.

وقال ابن الباذش رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإقناع» (٥٦٠):

«والقراءة هي على طباع العرب تحسن وتزيين بألسنتهم كما روي عن النبي ﷺ وكما جاء عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المتقدمين رحمة الله عليهم أجمعين» اهـ.

وقال ابن الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ في «النشر» (١/ ١٦٨ ـ ١٦٩):

«فَالتَّجوِيدُ هُوَ حِليَةُ التِّلَاوَةِ، وَزِينَةُ القِرَاءَةِ، وَهُوَ إِعطَاءُ الحُرُوفِ حُقُوقَهَا وَتَرتِيبُهَا مَرَاتِبَهَا، وَرَدُّ الحَرفِ إِلَى مَخرَجِهِ وَأَصلِهِ، وَإِلحَاقُهُ بِنَظِيرِهِ وَتَصحِيحُ لَفظِهِ وَتَلطِيفُ النُّطقِ بِهِ عَلَى حَالِ صِيغَتِهِ، وَكَمَالِ هَيئَتِهِ؛ مِن غَيرِ إِسرَافٍ وَلَا تَعَسُّفٍ وَلَا إِفرَاطٍ وَلَا تَكَلُّفٍ، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَولِهِ: «**مَن أَحَبَّ أَن يَقرَأَ القُرآنَ غَضًّا كَمَا أُنزِلَ فَليَقرَأهُ على قِرَاءَةِ ابنِ أُمِّ عَبدٍ**»[١]، **يَعنِي عَبدَ اللَّهِ بنَ مَسعُودٍ، وَكَانَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ **قَد أُعطِيَ حَظًّا عَظِيمًا فِي**

---

(١) أخرجه ابن ماجة (١٣٨) و أحمد (١٨٤٥٧) عن عمرو بن الحارث بن المصطلق وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٣٠١) وصححه في «صحيح ابن ماجه» (١١٤)

تَجوِيدِ القُرآنِ وَتحقِيقِهِ وَترتِيلِهِ كَمَا أنزَلَهُ اللَّهُ تَعالَى، وَنَاهِيكَ بِرَجُلٍ أَحَبَّ النَّبِيُّ ﷺ أَن يَسمَعَ القُرآنَ مِنهُ وَلَمَّا قَرَأَ أبكَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَينِ(١)، وَرُوِّينَا بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَن أَبِي عُثمَانَ النَّهدِيِّ قَالَ: صَلَّى بِنَا ابنُ مَسعُودٍ المَغرِبَ بِـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، وَوَاللَّهِ لَوَدِدتُ أَنَّهُ قَرَأَ بِسُورَةِ البَقَرَةِ مِن حُسنِ صَوتِهِ وَتَرتِيلِهِ(٢).

قُلتُ ـ أي ابن الجزري ـ: **وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ** ـ تبارك وتعالى ـ، **فَمَن يَقرَأُ القُرآنَ مُجَوَّدًا مُصَحَّحًا كَمَا أُنزِلَ تَلتَذُّ الأَسمَاعُ بِتِلَاوَتِهِ، وَتَخشَعُ القُلُوبُ عِندَ قِرَاءَتِهِ، حَتَّى يَكَادَ أَن يَسلُبَ العُقُولَ وَيَأخُذَ الأَلبَابَ؛ سِرٌّ مِن أَسرَارِ اللَّهِ تَعَالَى يُودِعُهُ مَن يَشَاءُ مِن خَلقِهِ، وَلَقَد أَدرَكنَا مِن شُيُوخِنَا مَن لَم يَكُن لَهُ حُسنُ صَوتٍ وَلَا مَعرِفَةٌ بِالأَلحَانِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ جَيِّدَ الأَدَاءِ قَيِّمًا بِاللَّفظِ، فَكَانَ إِذَا قَرَأَ أَطرَبَ المَسَامِعَ، وَأَخَذَ مِنَ القُلُوبِ بِالمَجَامِعِ، وَكَانَ الخَلقُ يَزدَحِمُونَ عَلَيهِ، وَيَجتَمِعُونَ عَلَى الاستِمَاعِ إِلَيهِ، أُمَمٌ مِنَ الخَوَاصِّ وَالعَوَامِّ، يَشتَرِكُ فِي ذَلِكَ مَن يَعرِفُ العَرَبِيَّ وَمَن لَا يَعرِفُهُ مِن سَائِرِ الأَنَامِ مَعَ تَركِهِم جَمَاعَاتٍ مِن ذَوِي الأَصوَاتِ الحِسَانِ، عَارِفِينَ بِالمَقَامَاتِ وَالأَلحَانِ لِخُرُوجِهِم عَنِ التَّجوِيدِ وَالإِتقَانِ**، وَأَخبَرَنِي جَمَاعَةٌ مِن شُيُوخِي وَغَيرِهِم أَخبَارًا بَلَغَتِ التَّوَاتُرَ عَن شَيخِهِمُ الإِمَامِ تَقِيِّ الدِّينِ مُحَمَّدِ بنِ أَحمَدَ الصَّائِغِ المِصرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَكَانَ أُستَاذًا فِي التَّجوِيدِ أَنَّهُ قَرَأَ يَومًا فِي صَلَاةِ الصُّبحِ ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ [النمل: ٢٠] وَكَرَّرَ هَذِهِ الآيَةَ فَنَزَلَ طَائِرٌ عَلَى رَأسِ الشَّيخِ يَسمَعُ

(١) روى البخاري (٥٠٤٩) عَن عَبدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: «قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ اقرأ عَلَيَّ القُرآنَ قُلتُ آقرأ عَلَيكَ وَعَلَيكَ أُنزِلَ قَالَ إِنِّي أُحِبُّ أَن أَسمَعَهُ مِن غَيرِي» ورواه مسلم (٨٠٠) وزاد «قال فقرأ عليه من أول سورة النساء إلى قوله ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١﴾ [النساء: ٤١] فبكى»

(٢) رواه ابن أبي شيبه (٣٦١٥) عن أَبِي عُثمَانَ النَّهدِيِّ، قال: «صَلَّى بنا أبو مسعودٍ المغرب فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] فوددت أنه كان قرأ سورة البقرة، من حسن صوته».

قِرَاءَتَهُ حَتَّى أَكمَلَهَا فَنَظَرُوا إِلَيهِ، فَإِذَا هُوَ هُدهُدٌ، وَبَلَغَنَا عَنِ الأُستَاذِ الإِمَامِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبدِ اللَّهِ بنِ عَلِيٍّ البَغدَادِيِّ المَعرُوفِ بِسِبطِ الخَيَّاطِ مُؤَلِّفِ المُبهِج وَغَيرِهِ فِي القِرَاءَاتِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ قَد أُعطِيَ مِن ذَلِكَ حَظًّا عَظِيمًا، وَأَنَّهُ أَسلَمَ جَمَاعَةٌ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى مِن سَمَاعِ قِرَاءَتِهِ، وَآخِرُ مَن عَلِمنَاهُ بَلَغَ النِّهَايَةَ فِي ذَلِكَ الشَّيخُ بَدرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بنُ أَحمَدَ بنِ بُصخَانَ شَيخُ الشَّامِ، وَالشَّيخُ إِبرَاهِيمُ بنُ عَبدِ اللَّهِ الحِكرِيُّ شَيخُ الدِّيَارِ المِصرِيَّةِ ـ رحمهما الله ـ، **وَأَمَّا اليَومُ فَهَذَا بَابٌ أُغلِقَ، وَطَرِيقٌ سُدَّ، نَسأَلُ اللَّهَ التَّوفِيقَ، وَنَعُوذُ بِهِ مِن قُصُورِ الهِمَمِ وَنَفَاقِ سُوقِ الجَهلِ فِي العَرَبِ وَالعَجَمِ، وَلَا أَعلَمُ سَبَبًا لِبُلُوغِ نِهَايَةِ الإِتقَانِ وَالتَّجوِيدِ، وَوُصُولِ غَايَةِ التَّصحِيحِ وَالتَّشدِيدِ، مِثلَ رِيَاضَةِ الأَلسُنِ، وَالتَّكرَارِ عَلَى اللَّفظِ المُتَلَقَّى مِن فَمِ المُحسِنِ، وَأَنتَ تَرَى تَجوِيدَ حُرُوفِ الكِتَابَةِ كَيفَ يَبلُغُ الكَاتِبُ بِالرِّيَاضَةِ وَتَوقِيفِ الأُستَاذِ**، وَلِلَّهِ دَرُّ الحَافِظِ أَبِي عَمرٍو الدَّانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ حَيثُ يَقُولُ: لَيسَ بَينَ التَّجوِيدِ وَتَركِهِ إِلَّا رِيَاضَةٌ لِمَن تَدَبَّرَهُ بِفَكِّهِ، فَلَقَد صَدَقَ وَبَصَّرَ، وَأَوجَزَ فِي القَولِ وَمَا قَصَّرَ .**فَلَيسَ التَّجوِيدُ بِتَمضِيغِ اللِّسَانِ، وَلَا بِتَقعِيرِ الفَمِ، وَلَا بِتَعوِيجِ الفَكِّ، وَلَا بِتَرعِيدِ الصَّوتِ، وَلَا بِتَمطِيطِ الشَّدِّ، وَلَا بِتَقطِيعِ المَدِّ، وَلَا بِتَطنِينِ الغُنَّاتِ، وَلَا بِحَصرَمَةِ الرَّاءَاتِ، قِرَاءَةٌ تَنفِرُ عَنهَا الطِّبَاعُ، وَتَمُجُّهَا القُلُوبُ وَالأَسمَاعُ، بَلِ القِرَاءَةُ السَّهلَةُ العَذبَةُ الحُلوَةُ اللَّطِيفَةُ، الَّتِي لَا مَضغَ فِيهَا وَلَا لَوكَ، وَلَا تَعَسُّفَ وَلَا تَكَلُّفَ، وَلَا تَصَنُّعَ وَلَا تَنَطُّعَ، لَا تَخرُجُ عَن طِبَاعِ العَرَبِ وَكَلَامِ الفُصَحَاءِ بِوَجهٍ مِن وُجُوهِ القِرَاءَاتِ وَالأَدَاءِ**».اهـ.

قلت: وبعد ما نقلناه عن الجهابذة الأعلام في معنى تزيين القراءة وتحسين الصوت نقول شتان بين مراد رسول الله ﷺ وبين ما يفعله هؤلاء المبتدعة الآن من القراءة بالألحان المطربة والمقامات الموسيقية.



التحذير
من اتخاذ القرآن مزامير

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**بَادِرُوا بِالأَعمَالِ سِتًا: إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ، وَكَثرَةُ الشُّرَطِ، وَبَيعُ الحُكمِ، واستِخفَافٌ بِالدَّمِ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَنَشوٌ يَتَّخِذُونَ القُرآنَ مَزَامِيرَ، يُقَدِّمُونَ أَحَدهُم لِيُغَنِّيَهُم وَإِن كَانَ أَقَلَّهُم فِقهًا**».

أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣٦) رقم (٦٠) عن زاذان قال: كنا مع عابس الغفاري على ظهر أجار فأبصر أناسا يتحملون فقال: ما شأن هؤلاء؟ فقال: يفرون من الطاعون قال يا طاعون خذني إليك فقال ابن عم له وكانت له صحبة تمنى الموت وقد سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «**لا يتمنين أَحَدُكُمُ المَوتَ**» قال: إِنِّي سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «**بَادِرُوا بِالمَوتِ سِتًّا...**» ورواه أحمد (١٦٠٤٠) وابن أبي شيبة (٣٧٧٣٦) والهمذاني في «التمهيد» (٣٧) رقم (٦١) عَن عُلَيم قَالَ كُنَّا جُلُوسًا عَلَى سَطحٍ مَعَنَا رَجُلٌ مِن أَصحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ يَزِيدُ لَا أَعلَمُهُ إِلَّا عَبسًا الغِفَارِيَّ وَالنَّاسُ يَخرُجُونَ فِي الطَّاعُونِ. فَقَالَ عَبسٌ يَا طَاعُونُ خُذنِي. ثَلَاثًا يَقُولُهَا فَقَالَ لَهُ عُلَيمٌ لِمَ تَقُولُ هَذَا أَلَم يَقُل رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**لاَ يَتَمَنَّى أَحَدُكُم المَوتَ فَإِنَّهُ عِندَ انقِطَاعِ عَمَلِهِ لاَ يُرَدُّ فَيُستَعتَبَ**». فَقَالَ إِنِّي سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ **يَقُولُ**: «**بَادِرُوا بِالمَوتِ سِتًّا...**».

ورمز له السيوطي في «الجامع» (٩٨٥٧) بالرمز «طب» وأخرجه الحاكم (٥٩٤٣) عن الحكم بن عمرو الغفاري بلفظ مختلف.

وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨١٢) وفي «الصحيحة»

(٩٧٩) وقال: «لكن الحديث صحيح، فقد رواه الطبراني وابن شاهين من طريق موسى الجهني عن زاذان» وقال: «والحديث أشار إلى صحته الحافظ في ترجمة الحكم من «الإصابة» (١ / ٣٤٦)، وهو حري بذلك لطرقه التي ذكرنا».اهـ.

قال الخليل رَحِمَهُ اللَّهُ (٦/ ٢٨٧):

«النَّشَأُ: أَحداث النّاس الصِّغار يقال للواحد: هو نَشَأُ سوءٍ وهؤلاء نَشَأُ سوءٍ»اهـ.

وقال الجوهري رَحِمَهُ اللَّهُ (٢/ ٢٠٨):

«والناشِئُ: الحَدَثُ الذي قد جاوز حدَّ الصغر والجارِية ناشِئٌ أيضًا، والجمع النَشَأَ وكذلك النَشْءُ»اهـ.

وقال ابن منظور (٦/ ٤٤١٨)، والزبيدي (١/ ٤٦٤) رحمهما الله:

«وفي الحديث «**نَشَأٌ يَتَّخِذُونَ القرآنَ مَزامِيرَ**» يروى بفتح الشين جمع: ناشِئٍ كخادِمٍ وخَدَمٍ يريد جماعةً أحداثًا. وقال أَبو موسى: المحفوظُ بسكون الشين كأَنه تسمية بالمصدر» وقالا: «الليث: النَّشْءُ أَحداثُ الناس» وقال ابن منظور: «الفرّاءُ: العرب تقول هؤلاء نَشْءُ صِدقٍ ورأَيت نَشْءَ صِدقٍ ومررت بِنَشْءِ صدق فإِذا طَرَحُوا الهمز قالوا هؤلاء نَشُو صِدقٍ ورأَيت نَشا صِدقٍ ومررت بِنَشِي صِدقٍ»اهـ.

وقال النهرواني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الجليس الصالح الكافي» (٢/ ٣٠٤):

«وقوله: نشءٌ يتخذون القوم مزامير، فإنه عنى به من حدث ونشأ من الأشرار بعد من مضى من البررة الأخيار، قال نصيب[1]:

(١) نُصَيب بن رَباح هو عبد بني كعب بن ضمرة بن كنانة يكنى أبا الحجناء

وَلَـولا أَن يُـقَـالَ صَـبَـا نُـصَـيـبٌ   لَقُلتُ بِنَفسِيَ النَّشَءُ الصِّغارُ[(١)]

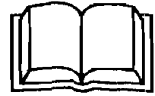
وهؤلاء الذين عنوا بهذا الخبر هم الذين يرددون القرآن لبطونهم بالألحان غير خاشعين ولا متعظين ولا معتبرين ولا متفهمين، وأمر هذا النشء في زماننا فاشٍ، فهم من أشد الناس فتنةً، وأعظمهم على أهل الدين بلية، فقد جعلوا اجتماعهم على تلاوة القرآن بمنكر الألحان، ومزامير الشيطان، وعلى تهم القيان وملاهيهم من المعازف والعيدان، والزيادة في كتاب الله تعالى ما ليس منه بالإيقاع والأوزان». اهـ.

قلت: سبحان الله كأن الإمام النهرواني يعيش بيننا فيصف حال هؤلاء المبتدعة الموجودين الآن فشغلهم الشاغل موافقة النغم من صبا وعجم وسيكا وغيره لأسر قلوب الناس وهم لا يفقهون ما يقرؤون فتجدهم يصلون إلى أعلى درجات الصوت في موضع لا يرفع فيه الصوت ويخفضونه في موضع لا يخفض فيه بل يتنغمون بآيات تتحدث عن النار كأنهم يشتقون إلى دخولها أعاذنا الله وإياكم منها.



(١) من الوافر التام قال أبو الهلال العسكري في «ديوان المعاني» (١/ ٢٥٢):
أجود ما قيل في حب الصغار من شعر المتقدمين قول نصيب:

ولـولا أن يـقـال: صـبـا نـصـيـبٌ   لـقـلـت: بـنـفـسـي الـنّـشـو الـصّـغـار
بـروحـي كـلّ مـهـضـومٍ حـشـاهـا   إذا ظـلـمـت فـلـيـس لـهـا انـتـصـار
إذا مـا الـذّلّ ضـاعـفـن الـحـشـايـا   كـفـاهـا أن يـلاث بـهـا الإزار»




الأحاديث الواردة في الترجيع

قال عَبدُ اللَّهِ بنُ مُغفَّلٍ المُزَنِيِّ رضي الله عنه: «رَأَيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يومَ الفَتحِ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ يَقرَأُ سُورَةَ الفَتحِ، أَو مِن سُورَةِ الفَتحِ ـ قَالَ: فَرَجَّعَ فِيهَا ـ قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ مُعَاوِيَةُ يَحكِي قِرَاءَةَ ابنِ مُغفَّلٍ وَقَالَ: لَولَا أَن يَجتَمِعَ النَّاسُ عَلَيكُم لَرَجَّعتُ كَمَا رَجَّعَ ابنُ مُغفَّلٍ يَحكِي النَّبِيَّ ﷺ. فَقُلتُ لِمُعَاوِيَةَ: كَيفَ كَانَ تَرجِيعُهُ قَالَ: آ آ آ ثَلاثَ مَرَّاتٍ». رواه البخاري (٧٥٤٠) ومسلم (٢٣٧ ـ ٧٩٤) وفي لفظ للبخاري (٥٠٤٧) **«رَأَيتُ النَّبِيَّ ﷺ يقرَأُ وهوَ عَلَى نَاقَتِهِ ـ أَو جَمَلِهِ ـ وَهِيَ تَسِيرُ بِهِ وَهوَ يَقرَأُ سُورَةَ الفَتحِ أَو مِن سُورَةِ الفَتحِ قِرَاءَةً لَيِّنَةً يَقرَأُ وَهوَ يُرَجِّعُ»**.

المقصود بالترجيع:

وبالنظر فيما ورد عن قراءة النبي ﷺ وُجِدَ أنها وردت بثلاث أوصاف كما قال الهمذاني رحمه الله في «التمهيد» (١٢٢):

«اعلم أن قراءة رسول الله ﷺ وردت بثلاث أوصاف:

أحدها: المد والتحقيق بغير ترجيع.

والثاني: الترديد والترجيع.

والثالث: القراءة حرفًا وآية آية بترسل وترتيل وتقطيع».اهـ.

فقراءة المد والتحقيق رواها البخاري (٥٠٤٥) عن قَتَادَةَ قَالَ: سَأَلتُ أَنَسَ بنَ مَالِكٍ عَن قِرَاءَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: **«كَانَ يَمُدُّ مَدًّا»** وروى أيضًا (٥٠٤٦) عَنه أنه قَالَ: سُئِلَ أَنسٌ كَيفَ كَانَت قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: **«كَانَت**

مَدًّا ثُمَّ قَرَأَ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] يَمُدُّ بِبِسمِ اللَّهِ وَيَمُدُّ بِالرَّحمَنِ وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ».

وقراءة الترسل والترتيل رواها أحمد (٢٦٥٨٣) عَن أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهَا سُئِلَت عَن قِرَاءَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَت: «كَانَ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾» صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٩١٣١).

فالمد والتحقيق والترسل والترتيل هذا وصف قراءة النبي ﷺ في كل أحواله أما قراءة الترجيع فلم يتعمدها الرسول ﷺ بل كانت ناتجة عن حركة الناقة كما في حديث ابن المغفل قال: «**رَأيتُ النَّبيَّ ﷺ يقرأُ وهوَ على ناقَتِهِ ـ أو جَمَلِهِ ـ وهيَ تَسيرُ بِهِ وَهوَ يَقرَأُ سُورَةَ الفَتحِ أو مِن سُورَةِ الفَتحِ قِرَاءَةً لَيِّنَةً يَقرَأُ وَهوَ يُرَجِّعُ**» وهذا شيء معلوم لمن يقرأ وهو يمتطى دابة.

وقراءة الترجيع لم ترد عنه ﷺ إلا وهو على راحلته. ونفي قراءة الترجيع على الإطلاق لم يرد في وصف قراءته ﷺ وما رواه الطبراني في «الأوسط» (٥/ ٨٦) رقم (٤٧٤٧) عن أبي بكرة ﵁ قال: «كَانَت قِرَاءَةُ رسول الله ﷺ المَدَّ لَيسَ فِيهَا تَرجِيعٌ». فقد حكم الألباني ﵀ في «ضعيف الجامع» (٤٤٧٦) عليه بالوضع.

فالترجيع إذن إما أن يكون من قصد النبي ﷺ وإما ألا يكون من قصده بل اضطرارًا لهز الدابة.

وقال ابن الأثير في «النهاية» (٢/ ٢٠٢):

«وهذا إنما حَصَل منه ـ واللّه أعلم ـ يوم الفتح لأنه كان راكبًا فجَعَلت الناقة تُحَرِّكه وتُنَزِّيه فحدَثَ التَّرجيعُ في صَوته».اهـ.

وقال العيني ﵀ في «شرح سنن أبي داود» (٥/ ٣٨٣):

«وهذا إنما حصل منه ﵇ لأنه كان راكبًا فجَعَلت الناقة تُحَرِّكه

فيحصل هذا من صوته وقد جاء في حديث آخر: «أنه كان لا يرجع» قيل: لعله لم يكن راكبا فلم يلجأ إلى الترجيع».اهـ.

ولو كان الترجيع اختيارا منه ﷺ كما قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «الزاد» (١/ ٤٨٣): «هذا الترجيع منه ﷺ كان اختيارا لا اضطرارا لهز الناقة له».اهـ فما المقصود بالترجيع؟

قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ (٣/ ١٥٩١):

«ورجّع الرجلُ وتَرجَّع: رَدَّدَ صوته في قراءة أو أذان أو غِناء أو زَمر أَو غير ذلك مما يترنم به. والترجيع في الأَذان: أَن يكرر قوله أَشهد أَن لا إِله إِلَّا الله أَشهد أَن محمدًا رسول الله. وتَرجيعُ الصوت: تَرديده في الحَلق كقراءة أَصحاب الأَلحان وفي صفة قراءته ﷺ يوم الفتح: «أنه كان يُرَجِّع». الترجِيعُ: ترديد القراءة ومنه ترجيع الأَذان وقيل: هو تَقارُب ضُروب الحركات في الصوت وقد حكى عبد الله بن مُغَفَّل ترجيعه بمد الصوت في القراءة نحو آء آء آء»اهـ.

وقال الفيومي رَحِمَهُ اللهُ في «المصباح المنير» (١/ ٢٩٩):

«وَرَجَّعَ فِي أَذَانِهِ بِالتَّثقِيلِ إذَا أَتَى بِالشَّهَادَتَينِ مَرَّةً خَفضًا وَمَرَّةً رَفعًا».اهـ.

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٩/ ٩٢):

«ثم قالوا: يحتمل أمرين: أحدهما أن ذلك حدث من هز الناقة، والآخر أنه أشبع المد في موضعه فحدث ذلك، وهذا الثاني أشبه بالسياق فإن في بعض طرقه «**لَولاَ أَن يَجتَمِعَ النَّاسُ لَقَرَأتُ لكم بِذلك اللَّحنِ**»[(١)] أي النغم. وقد ثبت الترجيع في غير هذا الموضع، فأخرج الترمذي في «الشمائل» والنسائي وابن ماجه وابن أبي داود واللفظ له من حديث أم هانئ

(١) أخرجه بهذا اللفظ أحمد (٢٠٥٥٨) والترمذي في «الشمائل» رقم (٣٢٠) والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٠٥٧).

«**كنت أسمع صوت النبي ﷺ وهو يقرأ وأنا نائمة على فراشي يرجع القرآن**» والذي يظهر أن في الترجيع قدرًا زائدًا على الترتيل، فعند ابن أبي داود من طريق أبي إسحاق عن علقمة قال «بت مع عبد الله بن مسعود في داره فنام ثم قام فكان يقرأ قراءة الرجل في مسجد حيه لا يرفع صوته ويسمع من حوله، ويرتل ولا يرجع»(١)»اهـ.

قلت: كلام الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ عليه ملحظ فقد ذكر حديث أم هانئ على أن الترجيع ثبت عن النبي ﷺ في غير موضع ركوب الدابة وهذا فيه نظر لأن حديث أم هانئ رَحِمَهُ اللهُ الثابت عند أحمد (٢٦٩٠٥) والنسائي (١٠١٣) وابن ماجه (١٣٤٩) والطبراني في «الكبير» (٩٩٧) و(٩٩٨) والترمذي في «الشمائل» (٣١٩) وحسنه الألباني في «صحيح النسائي» (١٠١٣). ليس فيه ذكر الترجيع فجملة «يرجع القرآن» التي ذكرها ابن حجر في آخر الحديث لا تثبت حسب ما وصل إليه علمي فهي ليست ضمن الثابت عن أم هانئ وفي رواية عند الطبراني في «الكبير» (٩٩٩) «**يُرَاجِعُ بها**» أي كلما انتهى من الآية يرجع إلى أولها أي يكرر الآية للتدبر.

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ في «النهاية» (٢/ ٢٠٢):

«وفي صفة قراءته عليه الصلاة والسلام يوم الفتح «**أنه كان يُرَجِّع**» التَّرجِيعُ: تَردِيدُ القراءةِ ومنه تَرجيعُ الأذان. وقيل هو تقاربُ ضُرُوب الحَرَكات في الصَّوت. وقد حَكَى عبد اللّه بن مُغَفَّل تَرجيعَه بمدِّ الصَّوت في القراءةِ نحو: آء آء آء. وهذا إنما حَصَل منه واللّه أعلم يوم الفتح؛ لأنه كان

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٩٤٠٤) عَن علقمة بن قيس قال: «بتُّ مع عبدِ اللَّه بن مَسعُودٍ لَيلَةً فَقَامَ أَوَّلَ اللَّيلِ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي فكانَ يَقرَأُ قراءة الإمَام في مَسجد حيِّه، يُرَتِّلُ وَلاَ يُرَجِّعُ يُسمِعُ مَن حَولَهُ وَلاَ يَرفَعُ صَوتَهُ، حَتَّى لَم يَبقَ عليه مِنَ الغلَس إلاَّ كما بينَ أذان المَغربِ إلَى انصِرَافِ مِنهَا ثُمَّ أَوتَرَ.» ولم أعثر عليه عند أبي داود
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» تحت رقم (٣٦٠٥): «رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح»

راكبًا فجَعَلت الناقة تُحَرِّكُه وتُنَزِّيه فحدَثَ التَّرجيعُ في صَوته وفي حديث آخر «**غير أنه كان لا يُرَجِّع**»(١) وَوَجهُه أنه لم يكن حينئذٍ راكبًا فلم يَحدُث في قِراءتِه التَّرجِيعُ»اهـ.

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٩/ ٩٢):

«وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة معنى الترجيع تحسين التلاوة لا ترجيع الغناء لأن القراءة بترجيع الغناء تنافى الخشوع الذي هو مقصود التلاوة».اهـ.

وقال صديق خان رَحِمَهُ اللهُ في «السراج الوهاج» (١١/ ٦١٠):

«المراد بالترجيع هنا الصوت الحسن وترداد الكلام على أحسن أوجه الأداء»اهـ.

وقال القسطلاني رَحِمَهُ اللهُ في «إرشاد الساري» (٧/ ٤٨١):

«وليس المراد ترجيع الغناء كما أحدثه قراء زماننا عفا الله عنا وعنهم ووفقنا أجمعين لتلاوة كتابه على النحو الذي يرضيه عنا بمنه وكرمه»اهـ.

قلت: يتبين مما سبق أن الترجيع إما أن يكون بتَردِيد القراءةِ وإما بمد

---

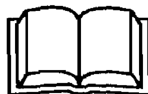
(١) رواه الترمذي في «الشمائل» (٣٢١) عن قتادة مرسلا قال: «ما بَعَثَ اللَّهُ نَبيًا إلاَّ حَسَنَ الوجه حَسَنَ الصَّوتِ وكان نبيكم ﷺ حَسَنَ الوجه حسَن الصَّوتِ وكان لا يرجعُ» ورواه أبو بكر ابن عبدوَيه البزَّاز في «كتاب الفوائد» الشهير بـ«الغيلانيات» رقم (٣٥٠) موصولا عن قتادة، عن أنسٍ بلفظ مختلف وفي آخره «غير أنّهُ لا يرجعْ»
وهذا الحديث فيه علتان:
١- الإرسال حيث أرسله قتادة
٢- حُسَامُ بنُ مِصَكٍّ وهو حسام بن مصك بن ظالم بن شيطان قال ابن حجر في التقريب (١٥٧): (ضعيف يكاد أن يترك) وقال الذهبي في الميزان (١/ ٤٧٧): «قال ابن معين: ليس بشيء. وقال أحمد: مطروح الحديث. وقال البخاري: ليس بالقوى عندهم. وقال الدارقطني: متروك. وقال النسائي: ضعيف. ومن مناكير حسام: قال نوح بن قيس: حدثنا حسام بن مصك، عن قتادة، عن أنس، قال: ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت، وكان نبيكم ﷺ حسن الوجه، حسن الصوت، غير أنه لا يرجع»

الصوت في القراءة ولذلك أنكر الإمام أحمد أن يكون الترجيع هو قراءة الألحن قال الخلال رَحِمَهُ اللهُ في «الأمر بالمعروف» (١٠٦ ـ ١٠٨): «وأخبرني أبو بكر المروزي، قال: قلت لأبي عبد الله: إنهم قالوا عنك: إنك كنت عند وهب بن جرير، فسألت ابن سعيد أن يقرأ؟ فقال: ما سمعت منها شيئًا قط، وقال: لا يعجبني إلا أن يكون جرم الرجل مثل جرم أبي موسى الأشعري، حين قال له عمر: «ذكرنا ربنا يا أبا موسى. فقرأ عنده» وذكر عن أنس، وعن التابعين، فيه كراهية، قلت: أليس يروى عن معاوية بن قرة، عن أبيه، أن النبي ﷺ رجع عام الفتح، وقال: «لو شئت أن أحكي لكم اللحن». فأنكر أبو عبد الله أن يكون هذا على معنى الألحان، وما روي عن النبي ﷺ: «**ما أذن لشيء ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن**». وقال: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**». وقال: كان ابن عيينة يقول: فيستغني بالقرآن، يعني: الصوت، وقال وكيع: يستغني به، قال: وقال الشافعي: يرفع صوته، وأنكر أبو عبد الله الأحاديث التي يحتج بها في الرخصة في الألحان».اهـ.

وتبين مما سبق أنه لا حجة في حديث الترجيع لمن يقرءون بالمقامات الموسيقية بل جُلُّ ما فيها إن كان اختيارا من الرسول ﷺ هو المد والترديد.

فالزم سبيل سلفك الصالحين واحذر من سبل الشيطان الرجيم تكن من المهتدين وتنجُ من مخالفة النبي الأمين ﷺ.






الأحاديث الواردة في صوت أبي موسي الأشعري رضي الله عنه

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «يَا أَبَا مُوسَى لَقَد أُوتِيتَ مِزمَارًا مِن مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ» أخرجه البخاري (٥٠٤٨) ومسلم (٧٩٣) ولكن بلفظ «**لَو رَأَيتَنِي وَأَنَا أَستَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ البَارِحَةَ لَقَد أُوتِيتَ مِزمَارًا مِن مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**».

ورواه البيهقي في السنن (٢٠١٩٠) بزيادة «**فَقَالَ ـ أي: أبا موسى ـ: لَو عَلِمتُ لَحَبَّرتُهُ لَكَ تَحبِيرًا**».

ولمسلم أيضًا (٧٩٣) بلفظ آخر «**إِنَّ عَبدَ اللَّهِ بنَ قَيسٍ أَوِ الأَشعَرِيَّ أُعطِيَ مِزمَارًا مِن مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**». وأخرجه أبو عوانة (٣٨٩٠) بزيادة «**وهو مؤمن منيب**».

تأويل الأحاديث الواردة في شأن أبي موسى رضي الله عنه

كان أبو موسى رضي الله عنه يقرأ بطبعه وسجيته وكان طبعه حسن الصوت بدون تكلف ولا تمرن فلما سمعه الرسول ﷺ قال له أبو موسى رضي الله عنه: «**لَو عَلِمتُ لَحَبَّرتُهُ لَكَ تَحبِيرًا.**» أي لحسنته وزينته.

قال الخليل رحمه الله (٣/ ٢١٨):

«وحبرت الكلام والشعر تحبيرًا أي: حسنته».اهـ.

وقال ابن منظور رحمه الله (٢/ ٧٤٨):

«وكل ما حَسُنَ من خَطٍّ أَو كلام أَو شعر أَو غير ذلك فقد حُبِرَ حَبرًا وحُبِّرَ وكان يقال لطُفَيلٍ الغَنَوِيِّ في الجاهلية: مُحَبِّرٌ لتحسينه الشِّعرَ وهو مأخوذ من التَّحبِيرِ وحُسنِ الخَطِّ والمَنطِقِ. وتحبيرُ الخط والشِّعرِ وغيرهما: تحسينه. الليث: حَبَّرتُ الشِّعر والكلامَ حَسَّنتُه وفي حديث أَبي موسى: «لو علمت أَنك تسمع لقراءتي لحَبَّرتُها لك تَحبِيرًا»يريد تحسين الصوت وحَبَّرتُ الشيء تَحبِيرًا إِذا حَسَّنتَه»اهـ.

وقال ابن الأثير رحمه الله في «النهاية» (١/ ٣٢٧):

«وفي حديث أبي موسى «**لو عَلِمتُ أنك تسمع لقراءتي لحبَّرتُها لك تَحبِيرا**» يريد: تحسين الصَّوت وتَحزِينَه. يقال حَبَّرتُ الشيء تحبيرا إذا حَسَّنتَه».اهـ.

وقال ابن الجوزي ـ غفر الله له ـ في «كشف المشكل» (١/ ٤١٥):

«والتحبير: التحسين والتزيين والمحبر: الشيء المزين، وكان يقال لطفيل المحبر، لأنه كان يحبر الشعر. وفي هذا جواز تحسين الصوت وتجويد التلاوة لأجل انتفاع السامعين، ولا يقال إن زيادة التجويد في ذلك رياء لأجل الخلق إذا كان المقصود اجتذاب نفعهم: **فأما الألحان التي يصنعها قراء هذا الزمان فمكروهة عند العلماء لأنها مأخوذة من طرائق الغناء**».اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في «جامع المسائل» (٣ / ٣٠٤):

«**والسلف كانوا يُحَسِّنون القرآن بأصواتهم من غير أن يتكلفوا أوزان الغناء**، مثل ما كان أبو موسى الأشعري يفعل. فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَقَد أُوتِي هذا مِزمَارًا مِن مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**». وقال لأبي موسى الأشعري: «**مررت بك البارحة وأنت تقرأ، فجعلت أستمع لقراءتك. فقال: لو علمت أنك تسمع لَحبَّرتُهُ لك تحبيرا**» أي لحسنته لك تحسينًا. وكان عمر يقول لأبي موسى الأشعري: يا أبا موسى، ذكِّرنا ربنا فيقرأ أبو موسى وهم يستمعون لقراءته».اهـ.

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «الزاد» (١/ ٤٩٣):

«**ما اقتضته الطبيعة، وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين ولا تعليم، بل إذا خُلّي وطبعه، واسترسلت طبيعته، جاءت بذلك التطريب والتلحين، فذلك جائز، وإن أعان طبيعتَه بفضلِ تزيين وتحسين**، كما قال أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للنبي ﷺ: «لَو علمتُ أنّكَ تَسمَع لَحَبَّرتُه لَكَ تحبِيرا»».اهـ.

والمقصود بالمزمار في الحديث: الصوت الحسن وليس الغناء وإن كان أصله الغناء قال الكرماني رَحِمَهُ اللهُ في «الكواكب الدراري» (١٩/ ٤٤):

«**والمزمار: المراد به الصوت الحسن** وأصل الزمر الغناء» اهـ.

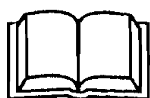
وقال ابن خلدون رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المقدمة» (٤٧٦):

«وأما قوله ﷺ: «لَقَد أُوتِيَ مِزمَارًا مِن مَزامِيرِ آلِ داوُدَ» **فليس المراد به الترديد والتلحين، إنما معناه حسن الصوت وأداء القراءة والإبانة في مخارج الحروف والنطق بها**»اهـ.

وقال صديق خان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السراج الوهاج» (١١/ ٦٠٩):

«**ويستبعد كل البعد أن يكون نبي الله يستجيز مزمارا من المزامير أو يكون صوته في كتاب الله وتلاوته على أصول الموسيقى أو على النهج الذي لا يفهم عبارته ولا يهتدي سامعه إلى مبانيه ودرك معانيه كما يصنع أهل مصر في هذه الأزمنة فذلك لا شك فيه أنه حرام أشد حرمة ولا يجوز بحال**»اهـ.



أقوال السلف الصالح في التغني في قراءة القرآن

١ ـ أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت ٢٣هـ):

ذكر محمد بن نصر المروزي في «قيام رمضان» (٩٠) رقم (١٦٢):

«باب التغني بالقرآن في قيام رمضان عن نوفل بن إياس الهذلي رحمه الله قال: كان الناسُ يَقُومُونَ فِي رَمَضَانَ فِي المَسجِدِ فَكَانُوا إِذَا سَمِعُوا قَارِئًا حَسَنَ القِرَاءَةِ مَالُوا إِلَيهِ، فَقَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه: قد اتخذوا القرآن أغاني والله لئن استطعت لأغيرن هذا فلم تمر ثلاث حتى جمع الناس على أبي بن كعب رضي الله عنه، فقال عمر رضي الله عنه: إن كانت هذه بدعة لنعمت البدعة».

وقال الفِريَابِيُّ في «الصيام» كتاب الصيام (١٧٢): حدثنا تميم بن المنتصر، أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا ابن أبي ذئب، عن مسلم بن جندب، عن نوفل بن إياس الهذلي قال: «كنا نقوم في عهد عمر بن الخطاب فِرَقًا في رمضان في المسجد إلى هاهنا وهاهنا فكان الناس يميلون على أحسنهم صوتا، فقال عمر: ألا أراهم قد اتخذوا القرآن أغاني، أما والله لئن استطعت لأغيرن هذا قال: فلم يلبث إلا ثلاث ليال حتى أمر أبي بن كعب، فصلى بهم، ثم قام في مؤخر الصفوف فقال: إن كانت هذه بدعة لنعمت البدعة».

قال محققه: إسناده رجاله ثقات .قلت: وهو كذلك وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٥/ ٥٩)، (١/ ٦٩) والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٢/ ١٤٣) رقم (٢٧٥) بلفظ: «كنا نقوم في عهد عمر بن الخطاب في المسجد

فيتفرق هاهنا فرقة وهاهنا فرقة وكان الناس يميلون إلى أحسنهم صوتا، فقال عمر: أراهم قد اتخذوا القرآن أغاني، أما والله لئن استطعت لأغيرن فلم يمكث إلا ثلاث ليال حتى أمر أبيا فصلى بهم».

قال المحقق فهد الفهيد: إسناده لا بأس به.

٢ - أنس بن مالك رضي الله عنه (ت ٩٢هـ):

أخرج ابن أبي شيبة (٣٠٤٤٨) عن عُبَيدِ اللهِ بنِ أَبِي بَكرٍ «أَنَّ زِيَادًا النُّمَيرِيَّ جَاءَ مَعَ القُرَّاءِ إِلَى أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه فقيل لَهُ: اقرَأ، فَرَفَعَ صَوتَهُ، وَكَانَ رَفِيعَ الصَّوتِ، فَكَشَفَ أَنَسٌ عَن وَجهِهِ الخِرقَةَ، وَكَانَ عَلَى وَجهِهِ خِرقَةٌ سَودَاءُ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ مَا هَكَذَا كَانُوا يَفعَلُونَ، وَكَانَ إِذَا رَأَى شَيئًا يُنكِرُهُ كَشَفَ الخِرقَةَ عَن وَجهِهِ».

وأخرج ابن أبي شيبة أيضًا (٣٠٤٤٧) والخلال في «الأمر بالمعروف» (١١٠) عَنِ الأَعمَشِ: «أَنَّ رَجُلًا قَرَأَ عِندَ أَنَسٍ فَطَرَّبَ فَكَرِهَ ذَلِكَ أَنَسٌ» وأخرجه الدارمي (٣٥٤٥) بلفظ «قَرَأَ رجل عِندَ أَنَسٍ بلحن من هذه الألحان فَكَرِهَ ذَلِكَ أَنَسٌ».

٣ - سعيد بن المسيب رحمه الله (١٥هـ - ٩٤هـ):

أخرج عبد الرزاق (٤١٧٤) عن معمر قال: «كان عمر بن عبد العزيز حسن الصوت فخرج ليلة يصلي في المسجد فجهر بصوته فاجتمع الناس فأرسل إليه سعيد بن المسيب: فتنت الناس. فلم يعد لذلك».

وقال المروزي في «مختصر قيام الليل» (١٣٦): «وسمع سعيد بن المسيب رحمه الله رجلا يقرأ فيما بين المغرب والعشاء قراءة فيها طَرَبٌ فقال للغلام: اذهب إلى هذا المغني فمره ليحتبس صوته فذهب فإذا هو عمر بن عبد العزيز رحمه الله فرجع إليه فأخبره فقال سعيد: دعه فإنه من خير فتيانهم».

٤ - سَعِيدُ بنُ جُبَيرٍ رحمه الله (ت ٩٥هـ):

أخرج الفاكهي في «أخبار مكة» [(٤/ ٣٩٤) رقم (١٦٦٥)] والمروزي

في «قيام رمضان» (٩٠) رقم (١٦٦) واللفظ له عن سعيد بن جبير أنه قال لرجل: ما الذي أحدثتم من بعدي؟ قال: ما أحدثنا بعدك شيئا، قال: بلى، الأعمى وأبو الطفيل يغنيانكم بالقرآن.

٥ ـ إبراهيم بن يزيد النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ (٥٠ ـ ٩٦هـ):

روى الطرطوشي في «مختصر الحوادث والبدع» (٥٢) عن إبراهيم النخعي أنه قال: «القراءةُ لا تُطَرَّبُ ولا تُرَجَّعُ» وقال: «كانوا يكرهون القراءةَ بالتطريبِ وكانوا إذا قرؤوا القرآن قرؤوه حَدرًا مُرسَلًا بِحُزنٍ».

وقال ابن أبي شيبة (٨٨٢٧) حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنِ الأَعمَشِ، قَالَ: صَلَّيت خَلفَ إبرَاهِيمَ فَمَا سَمِعتُهُ يُمَدِّدُ، وَلَا يُرَجِّعُ، وَلَا يُحَسِّنُ صَوتَهُ.

٦ ـ القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٠٦هـ):

أخرج البخاري في «خلق أفعال العباد» [(٢/ ٩٤) رقم (١٨١)] وابن أبي شيبة (٣٠٤٤٦) والخلال في «الأمر بالمعروف» (١١١) عن عِمرَانَ بنِ عَبدِ اللهِ بنِ طَلحَةَ، أَنَّ رَجُلًا قَرَأَ فِي مَسجِدِ النَّبِيِّ ص فِي رَمَضَانَ فَطَرَّبَ فَأَنكَرَ ذَلِكَ القَاسِمُ، وَقَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصِّلَت: ٤١، ٤٢].

٧ ـ سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٠٦هـ):

قال المروزي في «قيام رمضان» (٩٠) رقم (١٦٣): وقال أيوب رَحِمَهُ اللَّهُ، عن بعض المدنيين: قدم رجل من أهل العراق يقال له: البيذق، فنزل المدينة، فأقاموه يصلي بالناس في رمضان، فجعلوا يقولون لسالم: لو جئت، قال: «فما زلنا به حتى جاء ليلة، فسمع حتى دخل أو أراد أن يدخل فخرج وهو يقول: غناء غناء».

٨ ـ محمد بن سيرين الأنصارى البصري رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١١٠هـ):

قال الخلال في «الأمر بالمعروف» (١١١): سئل محمد بن سيرين عن هذه الأصوات التي يُقرَأُ بها. فقال: «هُوَ مُحدَثٌ».

وذكر الطرطوشي في «مختصر الحوادث والبدع» (٥٢) أنه قال: «أصواتُ القرآنِ مُحدَثَةٌ».

وروى الدارمي (٣٥٤٦) أنه قَالَ: «كَانُوا يَرَونَ هَذِهِ الأَلحَانَ فِي القُرآنِ مُحدَثَةً».

٩ ـ الحسن بن أَبي الحسن البصري أبو سعيد رَحِمَهُ اللَّهُ (٢١ ـ ١١٠هـ):

أخرج المروزي في «قيام رمضان» [(٩٠) رقم (١٦٤)] والخلال في «الأمر بالمعروف» (١١١) عن عمارة المعولي عن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كره القراءة بالأصوات.

١٠ ـ إِيَاسُ بنُ مُعَاوِيَةَ بن قرة المُزَنِيُّ أبو واثلة البصري القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ: (٤٦ ـ ١٢٢هـ):

قال الماوردي في «الحاوى الكبير» (١٧/ ١٩٨): «وَحَكَى زُهَيرُ بنُ أَبِي هِندٍ، عَن إِيَاسِ بنِ مُعَاوِيَةَ المُزَنِيِّ، أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَتَغَنَّى بِالقُرآنِ، فَقَالَ: يَا هَذَا إِن كُنتَ لَا بُدَّ مُتَغَنِّيًا فَبِالشِّعرِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلَيسَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: ل«يسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ»، فَقَالَ لَهُ إِيَاسٌ: إِنَّمَا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ: لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَستَغنِ بِالقُرآنِ، أَلَم تَسمَع حَدِيثَهُ الآخَرَ «مَن حَفِظَ القُرآنَ فَظَنَّ أَنَّ أَحَدًا أَغنَى مِنهُ». أَمَا سَمِعتَ قَولَ الشَّاعِرِ:

غَنِينَا بِذِكرِ اللَّهِ عَمَّا نَرَاهُ فِي يَدِ المُتَمَوِّلِينَا»اهـ

رواه المَروَزِيُّ في «قيام رمضان» (٩٠) رقم (١٦٥) بلفظ: «وسَمِعَ إِيَاسُ بنُ مُعَاوِيَةَ قارئًا يَقرَأُ بالأَصوَاتِ فَقَالَ لَهُ: إن كُنتَ مُتَغَنِّيًا فَبِالشِّعرِ».

١١ ـ محمد بن الهيثم النخعي الكوفي المقرئ رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٤١هـ):

قال الخلال في «الأمر بالمعروف» (١١٣): سمعت محمد بن الهيثم، يقول: «لأن أسمع الغناء أحب إلي من أن أسمع قراءة الألحان».

وقال: «وقال محمد بن الهيثم: إنما كان الهيثم الذي يقرأ بالألحان

مملوكا لرجل، وكان مخنثا، فحبسه مولاه في السجن، وحلف عليه ألا يخرج من السجن حتى يقرأ القرآن، ووضع فيه هذه الألحان».

١٢ ـ الحارث بن مسكين الأموي المصري رحمه الله **(١٥٤ ـ ٢٥٠هـ = ٧٧١ ـ ٨٦٤م):**

ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في «رفع الإصر عن قضاة مصر» (١١٩) من قضاياه: (ومنع من النداء على الجنائز. وصرف القراء الذين يقرؤون القرآن بالألحان).

وقال الإمام الذهبي رحمه الله في «تاريخ الإسلام» (١٧/ ٢٢) في ولاية الحارث بن مسكين القضاء: (وضرب الذين يقرؤون بالألحان).

وذكر الزركلي في «الأعلام» (٢/ ١٥٧) أن الحارث بن مسكين منع من النداء على الجنائز ومن قراءة القرآن بالألحان.

ذكر ما ورد عن إمام أهل السنة: أحمد بن حنبل رحمه الله **:**

ذكر الخلال في «الأمر بالمعروف» (١٠١) عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال سمعت أبى وقد سئل عن القراءة بالألحان فقال: «مُحدَثٌ إلا أن يكون من طِبَاعِ ذلك الرجل يعنى طَبعَ الرجل كما كان أبو موسى» وذكره عبد الله بن أحمد بن حنبل في «مسائل الإمام» [(٤٤٢) رقم (١٥٩٨)] باختلاف في اللفظ.

وأخرج الخلال في «الأمر بالمعروف» عدة آثار عن الإمام أحمد في مسألة التغني وذلك من الصفحة (١٠١) إلى الصفحة (١٠٤) وكذا في الصفحة (١١٢) وها هي:

فعن الفضل: سمعت أبا عبد الله سئل عن القراءة بالألحان فكرهه وقال: «يحسنه بصوته من غير تكلف».

وعن على بن سعيد قال سألت أبا عبد الله عن القراءة بالألحان فقال: «ما يعجبني هو محدث».

وعن إبراهيم بن الحارث وأبى بكر بن الأثرم قال: سألت أبا عبد الله عن القراءة بالألحان فقال: «كل شيء محدث فإنه لا يعجبني إلا أن يكون صوت الرجل لا يتكلفه قلت: ما لم يكن شيئًا بعينه لا يعدوه قال: نعم».

وعن أبي الحارث قيل لأبى عبد الله: «القراءة بالألحان والترنم عليه قال: بدعة. قيل له: إنهم يجتمعون عليه ويسمعونه قال: الله المستعان».

وعن المروزي قال: «سئل أبو عبد الله عن القراءة بالألحان فقال: بدعة لا يسمع».

وعن يعقوب الهاشمي أن أباه سأل أبا عبد الله عن القراءة بالألحان فقال: «هو بدعة ومحدث قلت: تكرهه يا أبا عبد الله قال: نعم أكرهه إلا ما كان من طبع كما كان أبو موسى فأما من يتعلمه بالألحان فمكروه قلت: إن محمد بن سعيد الترمذي ذكر أنه قرأ ليحيى بن سعيد فقال: صدقت كان قرأ له وقال: قراءة القران بالألحان مكروه».

وعن العنبري قال: «سمعت رجلا سأل أحمد بن حنبل فقال: ما تقول في القراءة بالألحان؟ فقال له أبو عبد الله ما اسمك؟ قال: محمد قال: فيسرك أن يقال يا موحمد».

وعن عبد الرحمن المتطيب يقول: قلت لأبى عبد الله في قراءة الألحان فقال: «يا أبا الفضل اتخذوه أغاني اتخذوه أغاني لا تسمع من هؤلاء».

وأخرج ابن مفلح رَحِمَهُ اللَّهُ في «الآداب الشرعية» (٢/ ٢٩٧) والخلال رَحِمَهُ اللَّهُ في «الأمر بالمعروف» (١١٣) واللفظ له عن أبى الحارث قال سمعت أبا عبد الله يقول: «يُعجِبُنِي مِن قِرَاءَةِ القُرآنِ السَّهلَةُ فأما هَذِهِ الأَلحَانُ فلَا تُعجِبُنِي».

وخلاصة ما ذكر عن الإمام أحمد أن القراءة بالألحان بدعة ولا يجوز القراءة بها إلا أن يكون الإنسان طبعه كطبع أبي موسي الأشعري.

مناقشة أقوال القائلين بالجواز

أولاً: بالنسبة لحديث «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»:

فقد اعترض القائلون بالجواز على تفسير ابن عيينة وابن الجراح لقوله ﷺ «يتغنى» بأنه بمعنى: «يستغني» باعتراضات كلها واهية واستدلوا باعتراض الإمام الشافعي على تأويلهما وقد اعترضوا على تأويل ابن عيينة وابن الجراح بثلاث اعتراضات وهي:

﴿ الاعتراض الأول ﴾

قال المجيزون: «وأما ادعاء الزاعم أن تغنيت بمعنى استغنيت فاش في كلام العرب فلم نعلم أحدا قال به من أهل العلم بكلام العرب» وقالوا: «وذلك غير جائز أن يقال: تغنى زيد بمعنى استغنى».

الرد:

نقول بتوفيق الله تعالى: قد نقلنا أقوال أئمة اللغة في أن «يتغني» تأتي على معانٍ منها: «يستغني» ونكتفي هنا بذكر كلام ثلاثة من فحول اللغة العربية الخليل والجوهري وابن منظور رحمهم الله تعالى.

قال إمام العربية الخليل بن أحمد رحمه الله (٣/ ٢٩٤): «تغنى على معنى استغنى».

وقال الجوهري رَحِمَهُ اللَّهُ (٢/ ٢٧): «وتَغَنَّى الرجل، أي استغنى، وأغناهُ الله. وتَغانَوا، أي استغنى بعضُهم عن بعض».

وقال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ (٥/ ٣٣٠٨): «وقد غَنِيَ غِنىً واستَغنى واغتَنى وتَغَانَى وتَغَنَّى فهو غَنِيٌّ وفي الحديث: ليس مِنَّا مَن لم يَتَغَنَّ بالقرآنِ».

وعلى هذا الفيومي وابن الأثير وأخذ به البخاري وابن الأنباري والطحاوي وابن سلام وهم أعلام وأئمة وقولهم حجة وقد ذكرنا أقوالهم من قبل ولا حاجة لإعادتها مرة أخرى ومعلوم أن من حفظ حجة على من لم يحفظ فكلام هؤلاء الأعلام حجة على قول الإمام الشافعي ومن تبعه وكل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد إلا النبي ﷺ.

وكلام الشافعي ومن تبعه في خصوص التلحين البسيط وهو قدر زائد عن الطبيعة لا ما أحدثه البطالون من ألحان الفسق والمجون فشتان بين ما أراده الشافعي وما أحدثه هؤلاء المبتدعة.



الاعتراض الثاني

قال المجيزون: «ومما يبين فساد تأويل ابن عيينة أيضًا أن الاستغناء عن الناس بالقرآن من المحال أن يوصف أحد به أنه يؤذن له فيه أو لا يؤذن».

الرد:

نقول بتوفيق الله تعالى: الذين يردون تفسير ابن عيينة لكلمة «**يتغنى**» لم ينتبهوا إلى أن تفسير ابن عيينة ووكيع لكلمة «**يتغنى**» في حديث «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**» وليس في حديث «**مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَن**

يَتَغَنَّى بِالقُرآنِ» فالمجيزون لا يفرقون بين كلمة «يتغني» في الحديثين وابن عيينة ووكيع يفسران حديث **«ليس منا من لم يتغن بالقرآن»** لا غير ويوضح ذلك الرواية التي ساقها الإسماعيلي عن ابن عيينة أنه قال: «يقولون إذا رفع صوته فقد تغنى».

ولو أمعنا النظر في صحيح البخاري لوجدنا الإمام البخاري يذكر تأويل ابن عيينة بعد ذكر حديث **«ليس منا من لم يتغن بالقرآن»** وترجم باب من لم يتغن بالقرآن ثم ذكر قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١].

قال ابن حجر في الفتح (٩/ ٦٨):

«وقد خفي وجه مناسبة تلاوة هذه الآية هنا على كثير من الناس كابن كثير فنفى أن يكون لذكرها وجه، على أن ابن بطال مع تقدمه قد أشار إلى المناسبة فقال: قال أهل التأويل في هذه الآية. فذكر ابن يحيى بن جعدة مختصرا قال: فالمراد بالآية الاستغناء عن أخبار الأمم الماضية، وليس المراد الاستغناء الذي هو ضد الفقر، قال: **وإتباع البخاري الترجمة بالآية يدل على أنه يذهب إلى ذلك، وقال ابن التين: يفهم من الترجمة أن المراد بالتغني الاستغناء لكونه أتبعه الآية التي تتضمن الإنكار على من لم يستغن بالقرآن عن غيره، فحمله على الاكتفاء به وعدم الافتقار إلى غيره وحمله على ضد الفقر من جملة ذلك»**اهـ.

وقد ذكر وكيع لفظ «يستغني به» بعد حديث **«ليس منا من لم يتغن»** وذكر لفظ «يجهر به» بعد **«مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيءٍ»**.

وهذا الحديث ليس فيه لفظ الإذن وقد ذكر الإذن في حديث **«مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيءٍ»** الذي يؤول برفع الصوت وليس بالاستغناء فلا علاقة بين الحديثين فهذا ينفي هدى النبي ﷺ عن من لم يستغن بالقرآن وهذا يوضح إذن الله لرسوله برفع الصوت بقراءة القرآن فإذا ثبت هذا فكلام المجيزين مردود ولا طائل وراءه.

الاعتراض الثالث

قالوا: أن تأويل ابن عيينة يرد برواية «**يجهر به**» الجهر يكون بالصوت لا بالاستغناء وكذلك الأذن بالاستماع لا يكون إلا بالصوت.

الرد:

نقول بتوفيق الله: لا حجة لهم في رواية «يجهر به» في رد تأويل ابن عيينة ووكيع كما بيننا قبل لأن ابن عيينة ووكيع لا يفسران حديث «**مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَن يَتَغَنَّى بِالقُرآنِ**» إنما يفسران حديث «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**» بل إن وكيع ـ وهو راوي الحديث كما بينا قبل ـ قد ذكر لفظ «يجهر به» في الرواية الثانية لحديث «**مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَن يَتَغَنَّى بِالقُرآنِ**» ولم يذكرها في حديث «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**» لأنه يفرق بينهما كأنه يقول أن معنى الحديثين على النحو التالي: في الحديث الأول يكون المعنى: ليس على طريقتنا من لم يستغن بالقرآن وفي الحديث الثاني يكون المعنى: أن الله أذن لنبيه أن يرفع صوته بالقرآن في جميع أحواله.

فلا منافاة بين الحديثين بل كل منهما يتحدث عن أمر يختلف عن الآخر ويؤيده ما ورد عن ابن عيينة «**يقولون: إذا رفع صوته فقد تغنى**».



ثانيًا: بالنسبة لحديث «مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيِّ أَن يَتَغَنَّى بِالقُرآنِ»:

يستدلون بهذا الحديث على ما أدخلوه من ألحان الأغاني في قراءة القرآن ولو نظرنا إلى هذا الحديث بكل رواياته ليس فيه إلا إذن الله لنبي

حسن الصوت يتغنى بالقرآن أو استماع الله إليه وليس فيه أمر من الله لمن ليس له صوت حسن أن يحسن صوته لذا نجد الإمام أحمد يفرق بين مَن حُسن الصوت طبعه ومَن يتعلمه ويتكلفه فقد روى الخلال عن إبراهيم بن الحارث وأبى بكر بن الأثرم قال: سألت أبا عبد الله عن القراءة بالألحان فقال: «**كل شيء محدث فإنه لا يعجبني إلا أن يكون صوت الرجل لا يتكلفه قلت: ما لم يكن شيئًا بعينه لا يعدوه. قال: نعم**».



ثالثًا: بالنسبة لأحاديث «زينوا القرآن بأصواتكم» و«حسن الصوت زينة القرآن»:

يستدل المعاصرون بهذه الأحاديث على ما أدخلوه من ألحان الأغاني في قراءة القرآن وقد بينا المقصود بتزيين القراءة في هذه الأحاديث وأنه لا حجة لهم فيها قال الهمذاني رَحِمَهُ اللهُ في «التمهيد» **(٣٢)**:

«وتزيين القراءة هو إعطاء الحروف حقوقها على ما بينا قبل لا ما أحدثه العمى المقبريون والغثر الأعجميون لأن ذلك يقضى إلى تغيير المقاصد والمعاني ويقرب قراءة الوحي المنزل من ألحان الأغاني»اهـ.

بل إن تحسين الصوت وتزينه يتباين مع صناعة الغناء كما ذكر ابن خلدون رَحِمَهُ اللهُ في «المقدمة»، فليس في هذه الأحاديث ما يدل على ما يفعله المبتدعون من إدخال المقامات وأوزان الأغاني في القراءة.



رابعًا: بالنسبة لحديث الترجيع:

قد بينا فيما مضى أن الترجيع يحتمل أن يكون صوته من هز الراحلة كما يعتري رافع صوته إذا كان راكبا من انضغاط صوته وتقطيعه لأجل هز

الدابة ويحتمل أن يكون اختيارا منه فيحمل على إشباع المد في موضعه والترديد وإذا احتمل ذاك وتلك فلا حجة لهم فيه لأن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال.



خامسًا: بالنسبة لحديث أبي موسى الأشعري ﷺ:

فقد بيَّنا ما في حديث أبي موسى ﷺ من معنى يخالف ما هم عليه فليراجع.



سادسًا: المقامات من أصوات العرب:

قال كبيرهم: «هذه بضاعتنا ردت إلينا فأهل الغناء هم الذين أخذوا هذه المقامات من القرآن وأصوات العرب».

ولعمري هذا بهتان عظيم لا علاقة للقرآن بالمقامات حتى إن العرب لم تكن تعرف هذه الألحان بل جل ما تعرفه هو الحداء والنشيد ولم تظهر هذه الألحان إلا بعد فتح بلاد الفرس والروم وجلبت الجواري والعبيد إلى الجزيرة العربية.

قال الإمام الطرطوشي ﷺ في «مختصر الحوادث والبدع» (٥٦ - ٥٧):

«قد ذكرنا أن مالكا كره القراءة بالألحان قال مالك: «ولا يعجبني النبر والهمز في القراءة» ومعنى هذا أن يمطط الحروف ويفرط في المد ويشبع الحركات حتى تصير حروفا فإنه متى أشبع حركة الفتح صارت ألفا وإن أشبع حركة الضم صارت واوا وإن أشبع حركة الكسر صارت ياء.

وأعظم من هذا أن الحرف الذي فيه واو واحدة تصير واوات كثيرة ويكون في الحرف ألف فيجعلونه ألفات كثيرة وكذلك كل حرف من الآية **يزيد فيه من الحروف بحسب ما تحتاج إليه نغمته ولحنه فيزيل الحرف عن معناه فتلحق الزيادة والنقصان على حسب النغمات والألحان فلا تخلوا من زيادة أو نقصان وهذا أمر ليس في كلام العرب**» اهـ.

وقال ابن رشيق القيرواني في «العمدة» (٢/ ٣١٣):

«وغناء العرب قديمًا على ثلاثة أوجه: النصب، والسناد، والهزج». اهـ.

وقال (٢/ ٣١٤): «قال إسحاق: هذا كان غناء العرب حتى جاء الله بالإسلام، وفتحت العراق، وجلب الغناء الرقيق من فارس والروم، فغنوا الغناء المجزأ المؤلف بالفارسية والرومية، وغنوا جميعًا بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير».

وقال الدكتور: جواد علي في «المفصل في تاريخ العرب» (٥/ ١١١):

«ويرجع أهل الأخبار غناء الجاهليين إلى ثلاثة أوجه: النصب، والسناد، والهزج». اهـ.

وقال (٥/ ١١٢): «ويذكر أهل الأخبار أن الأنواع المذكورة كانت غناء العرب، حتى جاء الإسلام وفتحت العراق، وجلب الغناء والرقيق من فارس والروم، فغنوا الغناء المجزأ المؤلف بالفارسية والرومية، وغنّوا جميعًا بالعيدان والطنابر والمعازف والمزامير».

وذكر أيضًا: «أن الغناء قديم في الفرس والروم، ولم يكن للعرب قبل ذلك إلا الحداء والنشيد، وكانوا يسموّنه «الركباني» «الركبانية». والنشيد رفع الصوت، ومن المجاز الشعر المتناشد بين القوم ينشده بعضهم بعضًا» اهـ

وبالنسبة لأول من حدا قال ابن رشيق القيرواني (٢/ ٣١٤):

«ويقال: إن أول من أخذ في ترجيعه الحداء مضر بن نزار؛ فإنه سقط عن جمل فانكسرت يده فحملوه وهو يقول: وايداه، وايداه، وكان أحسن خلق الله جرمًا وصوتًا، فأصغت الإبل إليه وجدت في السير، فجعلت العرب مثالا لقوله هايدا هايدا يحدون به الإبل، حكى ذلك عبد الكريم في كتابه.

وزعم ناس من مضر أن أول من حدا رجل منهم، كان في إبله أيام الربيع، فأمر غلامًا له ببعض أمر، فاستبطأه، فضربه بالعصا، فجعل ينشد في الإبل ويقول: يايداه، يايداه، فقال له: الزَم الزَم، واستفتح الناس الحداء من ذلك الوقت.».اهـ.

ولحون العرب هي الأصوات الطبيعية التي عبارة عن مد الممدود وقصر المقصور وترقيق المرقق وتفخيم المفخم وإدغام المدغم وإظهار المظهر وغير ذلك.

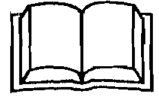
وقال ابن رشيق القيرواني (٢/ ٣١٤):

«قال الجاحظ: العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة، والعجم تمطط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن فتضع موزونًا على غير موزون».اهـ.

❁ **تنبيه:**

المقامات التي يقرؤون بها القرآن مجموعة في قولهم «صُنِعَ بِسِحر»، فالصاد رمز لمقام الصبا، والنون للنهاوند، والعين للعجم، والباء للبيات، والسين للسيكا، والحاء للحجاز، والراء للرست.





أقوال أئمة المذاهب الأربعة

١ ـ قول الأحناف:

قال بدر الدين العيني في «البناية شرح الهداية» في معرض كلامه عن المعازف (١٢/ ٨٨):

«فلهذا قال مشائخنا: **استماع القرآن بالألحان معصية، والتالي والسامع آثمان**».

وقال الزيلعي في «تبيين الحقائق» (١/ ٩١):

«وَكَذَا لَا يَحِلُّ التَّرجِيعُ فِي قِرَاءَةِ القُرآنِ وَلَا التَّطرِيبُ فِيهِ **وَلَا يَحِلُّ الاستِمَاعُ إِلَيهِ؛ لِأَنَّ فِيهِ تَشَبُّهًا بِفِعلِ الفَسَقَةِ فِي حَالِ فِسقِهِم وَهُوَ التَّغَنّي**»اهـ.

وقال برهان الدين بن مَازَةَ في «المحيط البرهاني» (٥/ ٣١٥):

«الترجيع بقراءة القرآن هل يكره؟ تكلم المشايخ فيه قال بعضهم: لا بأس به لقوله عليه السلام: «**زينوا القرآن بأصواتكم**»، وقال عليه السلام: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**»، وقال أكثرهم: هو مكروه، ولا يحل الاستماع إليه؛ لأن فيه تشبها بفعل الفسقة في حال فسقهم، ولهذا كره هذا النوع في الأذان»اهـ.

وقال ابن الهمام في «شرح فتح القدير» (٧/ ٣٧٩):

«وَأَمَّا القِرَاءَةُ بِالأَلحَانِ فَأَبَاحَهَا قَومٌ وَحَظَرَهَا قَومٌ. وَالمُختَارُ إن كَانَت

الأَلحَانُ لَا تُخرِجُ الحُرُوفَ عَن نَظمِهَا وَقَدرِ ذَوَاتِهَا فَمُبَاحٌ، وَإِلَّا فَغَيرُ مُبَاحٍ، كَذَا ذُكِرَ. وَقَد قَدَّمنَا فِي بَابِ الأَذَانِ مَا يُفِيدُ أَنَّ التَّلحِينَ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ تَغيِيرِ مُقتَضَيَاتِ الحُرُوفِ فَلَا مَعنَى لِهَذَا التَّفصِيلِ. وَنَقَلنَا هُنَاكَ عَنِ الإِمَامِ أَحمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ لِلسَّائِلِ عَنِ القِرَاءَةِ بِالتَّلحِينِ وَقَد أَجَابَ بِالمَنعِ: مَا اسمُكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ، فَقَالَ: أَيُعجِبُكَ أَن يُقَالَ لَك يَا مُوحَامَدُ؟»اهـ.

وقال ابن عابدين في «منحة الخالق» (٥/ ١٩٥):

«وَالزَّمزَمَةُ الصَّوتُ البَعِيدُ لَهُ دَوِيٌّ وَتَتَابُعُ صَوتِ الرَّعدِ وَالمُرَادُ القِرَاءَةُ فِي المَأتَمِ الَّذِي يُصنَعُ لِلأَموَاتِ مَعَ التَّمطِيطِ، قَالَ ابنُ الشِّحنَةِ فِي «شَرحِ الوَهبَانِيَّةِ»: «وَالمُؤَلِّفُ بَالَغَ فِي النَّكِيرِ عَلَى إِقرَارِهِم عَلَى هَذَا فِي زَمَانِهِ وَعَلَى القِرَاءَةِ بِالتَّمطِيطِ وَمَنَعَ جَوَازَهَا وَجَوَازَ سَمَاعِهَا وَقَالَ بِوُجُوبِ إِنكَارِهَا وَأَطنَبَ فِي إِنكَارِهَا وَذَلِكَ فِيمَا إِذَا مَطَّطَ تَمطِيطًا يُؤَدِّي إِلَى زِيَادَةِ حَرفٍ وَنَحوِ ذَلِكَ، أَمَّا القِرَاءَةُ بِالأَلحَانِ إِذَا سَلِمَت مِن ذَلِكَ فَإِنَّهَا مَندُوبٌ إِلَيهَا»اهـ»اهـ.

ونخلص مما سبق أن الأحناف فريقان: فريق يمنع القراءة بالألحان ويجعل القارئ والسامع آثمان سواء غيرت في ذوات الحروف أو لم تغير.

وفريق يفصل فيرى أن القراءة بالألحان إذا غيرت في ذوات الحروف بزيادة حرف أو نحو ذلك فلا تجوز وأما إن سلمت من هذا التغيير فتجوز.

ونلحظ أنهم قصدوا بقراءة الألحان قراءة التمطيط لا ما يفعله أهل البدع من القراءة بالمقامات الموسيقية وابن الهمام بعد أن ذكر التفصيل بين أن هذا التفصيل لا داعي له لأن التلحين لا بد فيه من تغيير في الحروف وهذا مشاهد فتجد أنهم يمططون الحركات من أجل النغم ويرقصون المدود ويرعدون الصوت استيفاء لقوانين الطرب.

٢ ـ قول المالكية:

كره مالك رَحِمَهُ اللَّهُ القراءة بالألحان وقال ببدعتها ونقل عنه ذلك أئمة المذهب كابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ في «إرشاد الساري» (١٠/ ٢٥٨):

«روى ابن القاسم عنه ـ أي الأمام مالك ـ أنه سئل عن الإلحان فى الصلاة فقال: لا يعجبني ـ وأعظم القول فيه ـ وقال: إنما هو غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم»اهـ.

وقال المروزي في «قيام رمضان» [(٩٢) رقم (١٦٩)]:

«وقال مالك رحمه الله: يكره هذه الألحان التي يقرءونها في القيام في المسجد»اهـ.

وقال الطرطوشي رحمه الله في «مختصر الحوادث والبدع» (٥٥):

«قال مالك: ولا تعجبني القراءة بالألحان ولا أحبها في رمضان ولا في غيره لأنه يشبه الغناء ويضحك بالقرآن فيقال فلان أقرأ من فلان» ثم عقب الطرطوشي بقوله: «بسبب التلحين والتطريب»اهـ.

وقال ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله في «المقدمة» (١٧٣):

«وَلَا قِرَاءَةُ القُرآنِ بِاللُّحُونِ المُرَجَّعَةِ كَتَرجِيعِ الغِنَاءِ وَليُجَلَّ كِتَابُ اللَّهِ العَزِيزِ أَن يُتلَى إِلَّا بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ وَمَا يُوقَنُ أَنَّ اللَّهَ يَرضَى بِهِ وَيُقَرِّبُ مِنهُ مَعَ إِحضَارِ الفَهمِ لِذَلِكَ»اهـ.

وقال أحمد بن غنيم النفراوي رحمه الله في «الفواكه الدواني» (٨/ ١٦٠) في شرحه لكلام القيرواني المتقدم:

««وَلَا» يَحِلُّ لَك أَيضًا «قِرَاءَةُ» شَيءٍ مِن «القُرآنِ بِاللُّحُونِ المُرَجَّعَةِ» أَي الأَصوَاتِ الَّتِي يُرَجِّعُهَا القَارِئُ. «كَتَرجِيعِ الغِنَاءِ» وَالمُرَادُ بِعَدَمِ الحِلِّ الكَرَاهَةُ إِلَّا أَن يُخرِجَهُ التَّرجِيعُ عَن حَدِّ القِرَاءَةِ، كَقَصرِ المَمدُودِ وَمَدِّ المَقصُورِ، وَكَمَا لَا تَحِلُّ القِرَاءَةُ عَلَى الوَجهِ المَذكُورِ لَا يَحِلُّ سَمَاعُهَا، لِأَنَّ القُرآنَ يُطلَبُ تَنزِيهُهُ عَن الزِّيَادَةِ وَالنُّقصَانِ، وَأَمَّا قِرَاءَةُ القُرآنِ بِالصَّوتِ الحَسَنِ مَعَ النَّغَمَاتِ المَعرُوفَةِ بِنَحوِ عُشَّاقٍ مَعَ تَجوِيدِهِ عَلَى الوَجهِ المَشرُوعِ فَلَا حَرَجَ فِيهِ، بَل يُكسِبُ السَّامِعَ الخُشُوعَ وَالِاتِّعَاظَ بِكَلِمَاتِ القُرآنِ، وَعَلَيهِ يُحمَلُ قَولُهُ ﷺ: «لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ» لِأَنَّ مَعنَاهُ لَيسَ مِنَّا مِن لَم يَتَلَذَّذ

بِسَمَاعِهِ لِرِقَّةِ قَلبِهِ وَشَوقِهِ إلَى مَا عِندَ رَبِّهِ، كَمَا يُلتَذُّ أَهلُ الغَوَانِي بِسَمَاعِ غَوَانِيهِم، وَبِالجُملَةِ فَالوَاجِبُ احتِرَامُ القُرآنِ وَقِرَاءَتُهُ عَلَى الوَجهِ المَشرُوعِ وَلِذَلِكَ قَالَ: «وَلِيُجِلَّ كِتَابَ اللَّهِ العَزِيزِ» أي يَجِبُ أَن يُنَزِّهَ عَن «أَن يُتلَى إلَّا بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ» أَي طُمَأنِينَةٍ وَتَعظِيمٍ»اهـ.

وقال الدردير ـ غفر الله له ـ في «الشرح الكبير» (١/ ٣٠٨):

««وَ» كُرِهَ «قِرَاءَةٌ بِتَلحِينٍ» أَي تَطرِيبِ صَوتٍ لَا يُخرِجُ عَن حَدِّ القِرَاءَةِ وَإِلَّا حَرُمَ»اهـ.

وقال الدسوقي في شرحه للكلام السابق في حاشيته (١/ ٣٠٨):

«قَولُهُ «بِتَلحِينٍ» أَرَادَ أَي بِأَنغَامٍ وما ذَكَرَهُ المُصَنِّفُ من الكَرَاهَةِ هو المَشهُورُ من مَذهَبِ الجُمهُورِ. وَذَهَبَ الشَّافِعِيُّ وَابنُ العَرَبِيِّ إلَى جَوَازِهِ، بَل قَالَ إنَّهَا سُنَّةٌ وَاستَحسَنَهُ كَثِيرٌ مِن فُقَهَاءِ الأَمصَارِ لِأَنَّ سَمَاعَهُ بِالألحان يَزِيدُ غِبطَةً بِالقُرآنِ وَإِيمَانًا وَيُكسِبُ القَلبَ خَشيَةً، وَيَدُلُّ لَهُ قَولُهُ ﷺ «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ**». وَقَولُهُ عليه السلام «**زَيِّنُوا القُرآنَ بِأَصوَاتِكُم**» وأَجابَ الجُمهُور عَن الأَوَّلِ بِأَنَّ المُرَادَ بِالتغني الِاستِغنَاءُ وَالوُثُوقِ وَعَن الثَّانِي بِأَنَّهُ مَقلُوبٌ» اهـ.

وقال أبو عبد الله المغربي رحمه الله في «مواهب الجليل» (٢/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣):

«ص «وَقِرَاءَةٌ بِتَلحِينٍ» ش: قَالَ فِي الرِّسَالَةِ، وَلَا يَحِلُّ لَكَ أَن تَتَعَمَّدَ سَمَاعَ البَاطِلِ كُلِّهِ، وَلَا أَن تَتَلَذَّذَ بِسَمَاعِ كَلَامِ امرَأَةٍ لَا تَحِلُّ لَك، وَلَا بِسَمَاعِ شَيءٍ مِن المَلَاهِي وَالغِنَاءِ، وَلَا قِرَاءَةِ القُرآنِ بِاللُّحُونِ المُرَجِّعَةِ كَتَرجِيعِ الغِنَاءِ. انتَهَى.

فَجُعِلَ ذَلِكَ مَمنُوعًا، وَقَالَ فِي المَدخَلِ وَاختَلَفَ عُلَمَاؤُنَا هَل يَجُوزُ التَّغَنِّي بِالقُرآنِ أَم لَا فَذَهَبَ مَالِكٌ وَجُمهُورُ أَهلِ العِلمِ إلَى أَنَّ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ، وَذَهَبَ الشَّافِعِيُّ وَمَن تَبِعَهُ إلَى أَنَّ ذَلِكَ يَجُوزُ ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا الخِلَافُ إنَّمَا هُوَ إذَا لَم يُفهَم مَعنَى القُرآنِ بِتَردِيدِ الأَصوَاتِ وَكَثرَةِ التَّرجِيعَاتِ فَإِن زَادَ

الأَمرُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى صَارَ لَا يُعرَفُ مَعنَاهُ فَذَلِكَ حَرَامٌ بِالِاتِّفَاقِ كَمَا يَفعَلُهُ القُرَّاءُ بِالدِّيَارِ المِصرِيَّةِ الَّذِينَ يَقرَءُونَ أَمَامَ المُلُوكِ وَالجَنَائِزِ انتَهَى»اهـ.

وقال ابن رشد رَحِمَهُ اللَّهُ في «البيان والتحصيل» **(١٨/ ٣٢٥)**:

«في **قراءة القرآن بالألحان** وسئل - أي الإمام مالك - عن القراءة بالألحان، فقال ما يعجبني لأن ذلك يشبه الغناء ويضحك بالقرآن ويسمى ويقال فلان أحسن قراءة من فلان. قال مالك: ولقد بلغني أن الجواري قد علمن ذلك كما يعلمن الغناء، قال: ولا أحب ذلك على حال من الأحوال في رمضان ولا في غيره، أين القراءة التي يقرأ هؤلاء من القراءة التي كان يقرؤها رسول الله ﷺ قال مالك: وإني لأكره التطريب في الأذان، ولقد هممت أن أكلم أمير المؤمنين في ذلك لأني كنت أسمعهم يؤذنون.

قال محمد بن رشد: **كراهة مالك قراءة القرآن بالألحان بينة، لأن ذلك يشبه الغناء على ما قال.** وقد سئل في رسم حلف من سماع ابن القاسم من كتاب الصلاة عن النفر يكونون في المسجد فيقولون لرجل حسن الصوت اقرأ علينا، يريدون حسن صوته، فكره ذلك وقال هذا يشبه الغناء، فقيل له: أفرأيت الذي قال عمر لأبي موسى: ذكرنا ربنا، فقال: إن من الأحاديث أحاديث قد سمعتها وأنا أتقيها، والله ما سمعت هذا قبل هذا المجلس. وإنما اتقى مالك من حديث عمر بن الخطاب هذا وما أشبهه أن يتحدث به فيكون»اهـ.

ويتبين مما سبق موافقة المالكية لإمامهم الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في القول بعدم جواز القراءة بالألحان.

٣ - قول الشافعية:

لقد اضطرب النقل عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في أمر الألحان فقال في بعض المواضع أكرهه وفي بعضها لا أكرهه فقد قال في «الأم» **(١٢٩٣)**:

«لَا بَأسَ بِالقِرَاءَةِ بِالأَلحَانِ، وَتَحسِينِ الصَّوتِ بِأَيِّ وَجهٍ مَا كَانَ، وَأَحَبُّ مَا يُقرَأُ إِلَيَّ حَدرًا وَتَحزِينًا»اهـ.

وقصد الشافعي رَحِمَهُ اللهُ بالألحان ألحان العرب وأصواتهم لا ألحان أهل الطرب فالشافعي يريد تحسين الصوت كما كان أبو موسى رَضِيَ اللهُ عَنهُ وليس كما توهمه بعضهم ونقل عنه الربيع الجيزي رَحِمَهُ اللهُ كراهة القراءة بالألحان كما ذكر ذلك السبكي - غفر الله له - في الطبقات (١/ ١٣٢) والبجيرمي في حاشيته على الخطيب (١/ ٧٧) وقال الشيرازي رَحِمَهُ اللهُ جمعا بين الروايتين في «المهذب» (٣/ ٤٤٤):

«وأما القراءة بالألحان فقد قال في موضع أكرهه، وقال في موضع آخر لا أكرهه وليست على قولين وإنما هي على اختلاف حالين، فالذي قال أكرهه أراد أذا جاوز الحد في التطويل وإدغام بعضه في بعض، والذي قال لا أكرهه إذا لم يجاوز الحد»اهـ.

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ في «الروضة» (٨/ ٢٠٥):

«وأما القراءة بالألحان فقال في المختصر: لا بأس بها. وعن رواية الربيع بن سليمان الجيزي أنها مكروهة. قال جمهور الأصحاب: ليست على قولين بل المكروه أن يفرط في المد وفي إشباع الحركات حتى تتولد من الفتحة ألف ومن الضم واو ومن الكسرة ياء أو يدغم في غير موضع الإدغام فإن لم ينته إلى هذا الحد فلا كراهة. وفي «أمالي السرخسي» وجه: أنه لا يكره وإن أفرط. قلت: الصحيح أنه إذا أفرط على الوجه المذكور فهو حرام صرح به صاحب الحاوي فقال: **هو حرام يفسق به القارئ ويأثم المستمع لأنه عدل به عن نهجه القويم وهذا مراد الشافعي بالكراهة**»اهـ.

وقال رَحِمَهُ اللهُ في شرحه لصحيح مسلم (٦/ ١١٢):

«معناه عند الشافعي وأصحابه وأكثر العلماء من الطوائف وأصحاب الفنون تحسين صوته به»اهـ.

وقال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ في «كتاب الحاوي الكبير» (١٧/ ١٩٧ ـ ١٩٨):

«القَولُ فِي قِرَاءَةِ القُرآنِ بِالأَلحَانِ: فَصلٌ: فَأَمَّا القِرَاءَةُ بِالأَلحَانِ المَوضُوعَةِ لِلأَغَانِي، فَقَدِ اختَلَفَ النَّاسُ فِيهَا، فَرَخَّصَهَا قَومٌ وَأَبَاحُوهَا، لِرِوَايَةِ أَبِي سَلَمَةَ، عَن أَبِي هُرَيرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتغَنَّ بِالقُرآنِ**». وَشَدَّدَهَا آخَرُونَ وَحَظَرُوهَا، لِخُرُوجِهَا عَنِ الزَّجرِ وَالعِظَةِ إِلَى اللَّهوِ وَالطَّرَبِ. وَلِأَنَّهَا خَارِجَةٌ عَن عُرفِ الرَّسُولِ ﷺ وَصَحَابَتِهِ رِضوَانُ اللَّهِ عَلَيهِم، إِلَى مَا استُحدِثَ مِن بَعدِهِ. وَقَد قَالَ ﷺ: «**كُلُّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ وَكُلُّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**». وَأَمَّا الشَّافِعِيُّ، فَإِنَّهُ عَدَلَ عَن هَذَينِ الإِطلَاقَينِ فِي الحَظرِ وَالإِبَاحَةِ بِاعتِبَارِ الأَلحَانِ، فَإِذَا أُخرِجَت أَلفَاظُ القُرآنِ عَن صِيغَتِهِ، بِإِدخَالِ حَرَكَاتٍ فِيهِ وَإِخرَاجِ حَرَكَاتٍ مِنهُ، يُقصَدُ بِهَا وَزنُ الكَلَامِ وَانتِظَامُ اللَّحنِ، أَو مَدُّ مَقصُورٍ، أَو قَصرُ مَمدُودٍ، أَو مَطَطٌ حَتَّى خَفِيَ اللَّفظُ، وَالتَبَسَ المَعنَى، **فَهَذَا مَحظُورٌ، يُفَسَّقُ بِهِ القَارِئُ، وَيَأثَمُ بِهِ المُستَمِعُ، لِأَنَّهُ قَد عَدَلَ بِهِ عَن نَهجِهِ إِلَى اعوِجَاجِهِ**، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزُّمَر: ٢٨]. وَإِن لَم يُخرِجهُ اللَّحنُ عَن صِيغَةِ لَفظِهِ وَقِرَاءَتِهِ عَلَى تَرتِيلِهِ كَانَ مُبَاحًا، لِأَنَّهُ قَد زَادَ بِأَلحَانِهِ فِي تَحسِينِهِ وَمِيلِ النَّفسِ إِلَى سَمَاعِهِ. أَمَّا قَولُهُ: «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتغَنَّ بِالقُرآنِ**» فَفِيهِ تَأوِيلَانِ: أَحَدُهُمَا: مَعنَاهُ مَن لَم يَستَغنِ بِالقُرآنِ، وَهَذَا قَولُ الأَصمَعِيِّ، وَمَالَ إِلَيهِ الشَّافِعِيُّ.

وَحَكَى زُهَيرُ بنُ أَبِي هِندٍ، عَن إِيَاسِ بنِ مُعَاوِيَةَ المُزَنِيِّ، أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَتَغَنَّى بِالقُرآنِ، فَقَالَ: يَا هَذَا إِن كُنتَ لَا بُدَّ مُتَغَنِّيًا فَبِالشِّعرِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلَيسَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ**»، فَقَالَ لَهُ إِيَاسٌ: إِنَّمَا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ: لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَستَغنِ بِالقُرآنِ، أَلَم تَسمَع حَدِيثَهُ الآخَرَ «**مَن حَفِظَ القُرآنَ فَظَنَّ أَنَّ أَحَدًا أَغنَى مِنهُ**». أَمَا سَمِعتَ قَولَ الشَّاعِرِ:

غَنِينَا بِذِكرِ اللَّهِ عَمَّا ... نَرَاهُ فِي يَدِ المُتَمَوِّلِينَا

وَالتَّأوِيلُ الثَّانِي: أَنَّهُ مَحمُولٌ عَلَى غِنَاءِ الصَّوتِ فِي تَحسِينِهِ وَتَحزِينِهِ دُونَ أَلحَانِهِ. وَهَذَا قَولُ أَبِي عُبَيدٍ، وَأَنكَرَ عَلَى مَن حَمَلَهُ عَلَى الِاستِغنَاءِ، وَقَالَ: لَو أَرَادَ هَذَا لَقَالَ: «مَن لَم يَتَغَانَ بِالقُرآنِ»» اهـ.

قلت: ويتبين من أقوال أئمة الشافعية أن القراءة بالألحان إذا أفرط فيها حتى أخرجت الحرف عن حده فتحرم القراءة أما إذا لم تخرج الحرف عن حده فلا تحرم والمقصود بقراءة الألحان هنا التلحين البسيط الذي لا يؤثر على الأداء الصحيح لا القراءة بالمقامات الموسيقية وأوزان الغناء فهذا لا يجوز ولم يقل به أحد منهم حاشاهم أن يجيزوا ذلك.بل إن الماوردي يفسّق القارئ ويأثّم السامع.

٤ ــ قول الحنابلة:

وقد ورد عن الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ أن القراءة بالألحان بدعة وقد ذكرنا ما نقله الأئمة عنه سابقا أما قول أئمة الحنابلة فقد قال أبو النجا الحجّاوي رَحِمَهُ اللهُ في «الإقناع»:

«وَكَرِهَ أَحمَدُ قِرَاءَةَ الأَلحَانِ وَقَالَ هِيَ بِدعَةٌ فَإِن حَصَلَ مَعَهَا تَغَيُّرُ نَظمِ القُرآنِ وَجَعلُ الحَرَكَاتِ حُرُوفًا حَرُمَ» اهـ.

وقال منصور البهوتي رَحِمَهُ اللهُ شارحا للكلام السابق في «كشاف القناع» (١/ ٤٠٨):

«(وَكَرِهَ أَحمَدُ) وَالأَصحَابُ (قِرَاءَةَ الأَلحَانِ وَقَالَ هِيَ بِدعَةٌ) لِمَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ فِي أَشرَاطِ السَّاعَةِ **«أَن يُتَّخَذَ القُرآنُ مَزَامِيرَ يُقَدِّمُونَ أَحَدَهُم لَيسَ بِأَقرَئِهِم وَلاَ أَفضَلِهِم إلاَّ لِيُغَنِّيَهُم غِنَاءً»** وَلِأَنَّ الإِعجَازَ فِي لَفظِ القُرآنِ وَنَظمِهِ وَالأَلحَانُ تُغَيِّرُهُ (فَإِن حَصَلَ مَعَهَا) أَي الأَلحَانِ (تَغَيُّرُ نَظمِ القُرآنِ وَجَعلُ الحَرَكَاتِ حُرُوفًا حَرُمَ) ذَلِكَ»اهـ.

وقال الشيخ مصطفى الرحيباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مطالب أولي النهى» (٥٩٨/١):

«(وَكَرِهَ) الإِمَامُ (أَحمَدُ) وَالأَصحَابُ (قِرَاءَةَ الأَلحَانِ، وَقَالَ: هِيَ بِدعَةٌ)، لِمَا رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ فِي أَشرَاطِ السَّاعَةِ: «**أن يتَّخذ القُرآنُ مزامِيرَ، يُقدِّمونَ أحدَهُم ليسَ بأقرئِهم ولاَ أفضلِهم، إلاَّ ليُغنّيهُم غِناءً**»[1]. وَلِأَنَّ الإِعجَازَ فِي لَفظِ القُرآنِ وَنَظمِهِ، وَالأَلحَانُ تُغَيِّرُهُ. (فَإِن حَصَلَ مَعَهَا)، أَي: الأَلحَانِ (تَغيِيرُ نَظمِ القُرآنِ، كَجَعلِ الحَرَكَاتِ حُرُوفًا: حَرُمَ) ذَلِكَ. (وَسُئِلَ) الإِمَامُ (أَحمَدُ عَن ذَلِكَ)، أَي: عَن تَغيِيرِ نَظمِ القُرآنِ، (فَقَالَ لِلسَّائِلِ: مَا اسمُكَ؟ فَقَالَ: مُحَمَّدٌ، فَقَالَ: أَيَسُرُّكَ أَن يُقَالَ لَكَ: يَا مو حَامَدُ؟) فَقَالَ: لَا (وَقَالَ الشَّيخُ) تَقِيُّ الدِّينِ: (التَّلحِينُ الَّذِي يُشبِهُ الغِنَاءَ مَكرُوهٌ). وَلَا يُكرَهُ التَّرجِيعُ، وَتَحسِينُ القِرَاءَةِ، بَل ذَلِكَ مُستَحَبٌّ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ: «**مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيءٍ كَإِذنِهِ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالقُرآنِ. يَجهَرُ بِهِ**». رَوَاهُ البُخَارِيُّ. وَقَالَ ﷺ: «**زَيِّنُوا القُرآنَ بِأَصوَاتِكُم**» وَقَالَ: «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ**». قَالَ طَائِفَةٌ: مَعنَاهُ: تَحسِينُ قِرَاءَتِهِ وَالتَّرَنُّمُ، وَرَفعُ صَوتِهِ بِهَا. وَقَالَ أَبُو عُبَيدَةَ وَجَمَاعَةٌ: يَتَغَنَّى بِهِ» اهـ.

وقال أبو الفرج ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥٩٧ هـ - ٦٨٢هـ) في «الشرح الكبير» (١٧٩/٤):

«(فصل) وكره أحمد قراءة القرآن بالألحان وقال: هي بدعة لما روى أن النبي ﷺ ذكر في أشراط الساعة «**أَن يُتَّخَذَ القُرآنُ مَزَامِيرَ، يقدِّمُونَ أَحَدَهُم ليس بأقرئهم ولاَ أفضلِهم، إلاَّ ليُغَنِّيَهُم غِنَاءً**» ولأن معجزة القرآن في لفظه ونظمه والألحان تغيره. قال شيخنا: وكلام احمد في هذا محمول على الإفراط في ذلك بحيث يجعل الحركات حروفا، ويمد في غير موضعه» اهـ.

(١) أخرجه المستغفري في فضائل القرآن رقم (٤١) وفي إسناده ضعف ولكنه حسن بمجموع الطرق

وقال رَحِمَهُ اللهُ (٢٩/ ٣٧٨ ـ ٣٨١):

«فَصلٌ: فِي قِرَاءَةِ القُرآنِ بِالأَلحَانِ: أَمَّا قِرَاءَتُهُ مِن غَيرِ تَلحِينٍ، فَلَا بَأسَ بِهِ، وَإِن حَسَّنَ صَوتَهُ، فَهُوَ أَفضَلُ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**زَيِّنُوا أصواتكم بِالقُرآنِ**». وَرُوِيَ: «**زَيِّنُوا القرآن بأصواتكم**». وَقَالَ: «**لقد أُوتِيَ أبو مُوسَى مِزمَارًا مِن مَزَامِيرِ آلِ دَاوُد**». وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَبِي مُوسَى: «**لقد مررت بك البارحة، وأنت تقرأ، ولقد أُوتيت مزمارا من مزامير آلِ داوُد**». فَقَالَ أَبُو مُوسَى: «لَو أَعلَمُ أَنَّك تَسمَعُ، لَحَبَّرته لَك تَحبِيرًا». وَرُوِيَ أَنَّ عَائِشَةَ رَحِمَهَا اللهُ أَبطَأَت عَلَى النَّبِيِّ ﷺ لَيلَةً، فَقَالَ: أَينَ كُنت يَا عَائِشَةُ؟ فَقَالَت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُنت أَستَمِعُ قِرَاءَةَ رَجُلٍ فِي المَسجِدِ، لَم أَسمَع أَحَدًا يَقرَأُ أَحسَنَ مِن قِرَاءَتِهِ. فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَاستَمَعَ قِرَاءَته، ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَالِمٌ مَولَى أَبِي حُذَيفَةَ، الحَمدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثلَ هَذَا[1].

وَقَالَ صَالِحٌ: قُلت لِأَبِي: «**زَيِّنُوا القُرآن بأصوَاتِكم**». مَا مَعنَاهُ؟ قَالَ: أَن يُحسِنَهُ. وَقِيلَ لَهُ: مَا مَعنَى: «**مَن لَم يَتغَنَّ بِالقُرآنِ**». قَالَ: يَرفَعُ صَوتَهُ بِهِ. وَهَكَذَا قَالَ الشَّافِعِيُّ. وَقَالَ اللَّيثُ: يَتَحَزَّنُ بِهِ، وَيَتَخَشَّعُ بِهِ، وَيَتَبَاكَى بِهِ. وَقَالَ ابنُ عُيَينَةَ، وَعَمرُو بنُ الحَارِثِ، وَوَكِيعٌ: يَستَغنِي بِهِ.

فَأَمَّا القِرَاءَةُ بِالتَّلحِينِ، فَيُنظَرُ فِيهِ؛ فَإِن لَم يُفرِط فِي التَّمطِيطِ وَالمَدِّ وَإِشبَاعِ الحَرَكَاتِ فَلَا بَأسَ بِهِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَد قَرَأَ، وَرَجَّعَ، وَرَفَعَ صَوتَهُ. قَالَ الرَّاوِي: لَولَا أَن تجتَمِعَ النَّاسُ إلَيَّ، لَحَكَيت لَكُم قِرَاءَتَهُ. وَقَالَ عَلَيهِ السَّلَامُ: «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ**». وَقَالَ: «**مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيءٍ كَإِذنِهِ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوتِ، يَتَغَنَّى بِالقُرآنِ: يَجهَرُ بِهِ**». وَمَعنَى أَذِنَ: استَمَعَ.

وَقَالَ القَاضِي: هُوَ مَكرُوهٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَنَحوُهُ قَولُ أَبِي عُبَيدٍ، وَقَالَ مَعنَى قَولِهِ: «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقُرآنِ**». أَي: يَستَغنِي بِهِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

وَكُنتُ امرَأً زَمِنًا بِالعِرَاقِ ... عَفِيفَ المُنَاخِ كَثِيرَ التَّغَنِّي

(١) أخرجه ابن ماجه (١٣٣٨) وصححه الألباني في الصحيحة (٣٣٤٢)

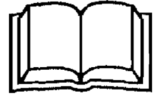
قَالَ: وَلَو كَانَ مِن الغِنَاءِ بِالصَّوتِ، لَكَانَ مَن لَم يُغَنِّ بِالقُرآنِ. وَرُوِيَ نَحوُ هَذَا التَّفسِيرِ عَن ابنِ عُيَينَةَ. وَقَالَ القَاضِي أَحمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ البِرتِيُّ: هَذَا قَولُ مَن أَدرَكنَا مِن أَهلِ العِلمِ. وَقَالَ الوَلِيدُ بنُ مُسلِمٍ: يَتَغَنَّى بِالقُرآنِ، يَجهَرُ بِهِ. وَقِيلَ: يُحَسِّنُ صَوتَهُ بِهِ.

قال شيخنا: وَالصَّحِيحُ أَنَّ هَذَا القَدرَ مِن التَّلحِينِ لَا بَأسَ بِهِ؛ ولِأَنَّهُ لَو كَانَ مَكرُوهًا، لَم يَفعَلهُ النَّبِيُّ ﷺ. وَلَا يَصِحُّ حَملُهُ عَلَى التَّغَنِّيَ فِي حَدِيثِ: «**مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيءٍ، كَإِذنِهِ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالقُرآنِ**». عَلَى الِاستِغنَاءِ؛ لِأَنَّ مَعنَى أَذِنَ: استَمَعَ، وَإِنَّمَا تُسمَعُ القِرَاءَةُ، ثُمَّ قَالَ: يَجهَرُ بِهِ. وَالجَهرُ صِفَةُ القِرَاءَةِ، لَا صِفَةُ الِاستِغنَاءِ.

فَأَمَّا إذا أَسرَفَ فِي المَدِّ وَالتَّمطِيطِ وَإِشبَاعِ الحَرَكَاتِ، بِحَيثُ يَجعَلُ الضَّمَّةَ وَاوًا، وَالفَتحَةَ أَلِفًا، وَالكَسرَةَ يَاءً، كُرِهَ له ذَلِكَ.

وَمِن أَصحَابِنَا مَن قال: يحرمُ؛ لِأَنَّهُ يُغَيِّرُ القُرآنَ، وَيُخرِجُ الكَلِمَاتِ عَن وَضعِهَا، وَيَجعَلُ الحَرَكَاتِ حُرُوفًا.

وَقَد رَوَينَا عَن أَبِي عَبدِ اللَّهِ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ عَن ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ: مَا اسمُك؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قَالَ: أَيَسُرُّك أَن يُقَالَ لَك: يَا مُوحَامَدُ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: ولَا يُعجِبُنِي أَن يَتَعَلَّمَ الرَّجُلُ الأَلحَانَ، إلَّا أَن يَكُونَ جَرمُهُ مِثلَ جَرمِ أَبِي مُوسَى. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: فَيُكَلِّمُونَ؟ فَقَالَ: ولَا كُلّ ذَا. وَاتَّفَقَ العُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ تُستَحَبُّ قِرَاءَةُ القُرآنِ بِالتَّحزِينِ وَالتَّرتِيلِ وَالتَّحسِينِ»اهـ.



المقصود بقراءة الألحان عند السلف

قَصَدَ السَّلَفُ الصَّالِحُ بِالقِرَاءَةِ بِالأَلحَانِ تَحسينَ الصَّوتِ بِشيءٍ زائدٍ عَنِ الطَّبيعَةِ وَهوَ مَا يُسمَّى بِالتَّلحِينِ البَسِيطِ الذي لا يُؤَثِّرُ على الأَداءِ الصَّحيحِ لَا مَا أَحدَثَهُ البطالون الأكالون مِن إدخالِ مَقاماتٍ مُوسِيقِيةٍ فِي القِرَاءَةِ وَإِخضاعِها لِلمِيزانِ وَالإِيقاعاتِ المُوسِيقِيةِ وَتَجِدُ ذلِكَ وَاضِحًا مِن خِلالِ ما ورد عنهم وسطروه في بطون أمات الكتب.

فَانظُروا رحمني الله وإياكم إِلَى كَلَامِ الإمام ابنِ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللهُ في «إرشاد الساري» (١٠/ ٥٢٩): «وَأَمَّا قَولُهُ عَلَيهِ السَّلَامُ: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**» فَقَد تَقَدَّمَ فِي فَضَائِلِ القُرآنِ، وَتَلخِيصُ مِعناهُ: الحَضُّ عَلَى تَحسينِ الصَّوتِ بِهِ، وَالغِنَاءُ الَّذِي أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَن يُقرَأَ القُرآنُ بِهِ، وَهُوَ الجَهرُ بِالصَّوتِ وَإِخرَاجُ تِلَاوَتِهِ مِن حُدُودِ مَسَاقِ الإِخبَارِ وَالمُحَادَثَةِ؛ حَتَّى يَتَمَيَّزَ التَّالِيَ لَهُ مِنَ المُتَحَدِّثِ تَعظِيمًا لَهُ فِي النُّفُوسِ وَتَحبِيبًا إِلَيهَا»اهـ.

وقال الشيرازي رَحِمَهُ اللهُ في «المهذب» (٣/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤): في قوله ﷺ: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**»: «وَحَمَلَهُ الشَّافِعِيُّ عَلَى تَحسِينِ الصَّوتِ»اهـ.

وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ في «النهاية» / ٣٩١: «وقال الشافعي: معناه تحسين القراءة وترقيقها»اهـ.

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «الزاد» (١/ ٤٩٣):

«**وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعا أنهم برآء من القراءة بألحان الموسيقى المتكلفة التي هي إيقاعات وحركات موزونة**

معدودة محدودة وأنهم أتقى لله من أن يقرؤوا بها ويسوغوها ويعلم قطعا أنهم كانوا يقرؤون بالتحزين والتطريب ويحسنون أصواتهم بالقرآن ويقرؤونه بشجي تارة وبطرب تارة وبشوق تارة وهذا أمر مركوز في الطباع تقاضيه ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطباع له بل أرشد إليه وندب إليه وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به»اهـ.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «التفسير» (١/ ٦٤):

«فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائي، فالقرآن ينزه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب، وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك»اهـ.

ويتضح مما سبق أن هناك فرقًا بين ما يقصده السلف الصالح بقراءة الألحان وبين ما يفعله أهل الأهواء والبدع الآن من القراءة على أوزان وإيقاعات الأغاني.

فالسلف أبعد الناس عن التلحين بمعنى التطريب والأصوات بالنغمات وهم متفقون على بدعية القراءة على أوزان وإيقاعات الغناء.

وخلاصة أقوال العلماء أن القراءة بالألحان التي هي تحسين الصوت بشيء زائد عن الطبيعة على ضربين ضرب فيه اتفاق وضرب فيه اختلاف.

الضرب الأول: اتفق العلماء على تحريم القراءة بالألحان إذا أخرج القرآن عن لفظه بزيادة حرف أو نقصه.

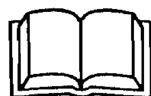
الضرب الثاني: اختلف العلماء فيما إذا لم تغير قراءة الألحان شيئًا من القراءة.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٢/ ٢٢١٩):

«فَحَكَى عَبد الوَهَّاب المَالِكِيّ عَن مَالِك تَحرِيم القِرَاءَة بِالأَلحَانِ، وَحَكَاهُ أَبُو الطَّيِّب الطَّبَرِيُّ وَالمَاوَردِيّ وَابن حَمدَان الحَنبَلِيّ عَن جَمَاعَة مِن أَهل العِلم، وَحَكَى اِبن بَطَّال وَعِيَاض وَالقُرطُبِيّ مِن المَالِكِيَّة وَالمَاوَردِيّ

وَالبَنْدَنِيجِيّ وَالغَزَالِيّ مِن الشَّافِعِيَّة، وَصَاحِب الذَّخِيرَة مِن الحَنَفِيَّة الكَرَاهَة، وَاخْتَارَهُ أَبُو يَعلَى وَابن عَقِيل مِن الحَنَابِلَة، وَحَكَى ابن بَطَّال عَن جَمَاعَة مِن الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ الجوَاز، وَهُوَ المَنصُوص لِلشَّافِعِيّ وَنَقَلَهُ الطَّحَاوِيُّ عَن الحَنَفِيَّة، وَقَالَ الفُورَانِيّ مِن الشَّافِعِيَّة فِي الإِبَانَة: يَجُوز بَل يُستَحَبّ، **وَمَحَلّ هَذَا الاختِلَاف إِذَا لَم يَختَلّ شَيء مِن الحُرُوف عَن مَخرَجه، فَلَو تَغَيَّرَ قَالَ النَّوَوِيّ فِي «التِّبيَان»: أَجمَعُوا عَلَى تَحرِيمه»** اهـ.





حكم القراءة بالمقامات والأوزان الموسيقية

قراءة القرآن بألحان وأوزان الغناء والمقامات الموسيقية بدعة محدثة محرمة يأثم القارئ والسامع لأن الأول فعل والثاني رضي بهذا الفعل قال النووي رَحِمَهُ اللهُ في «التبيان» (١١٢):

«وهذا القسم الأول من القراءة بالألحان المحرمة مصيبة ابتلي بها بعض الجهلة الطغام الغشمة الذين يقرؤون على الجنائز وبعض المحافل **وهذه بدعة محرمة ظاهرة يأثم كل مستمع لها** كما قاله أقضى القضاة الماوردي **ويأثم كل قادر على إزالتها أو على النهي عنها إذا لم يفعل ذلك**»اهـ.

وقال في «الروضة» (٨/ ٢٠٥):

«الصحيح أنه إذا أفرط على الوجه المذكور فهو حرام صرح به صاحب الحاوي فقال: **هو حرام يفسق به القارئ ويأثم المستمع لأنه عدل به عن نهجه القويم وهذا مراد الشافعي بالكراهة**»اهـ.

وأوجب القسطلاني في «إرشاد الساري» (٧/ ٤٨١) **على السامع النكير وعلى التالي التعزير**.

ولا شك في ذلك إذ قراءة القرآن مباينة للغناء من كل وجه والخلاف الذي حدث بين الأئمة المعتبرين هو في تحسين الصوت وهو ما يسمى بالتلحين البسيط أما التلحين الموسيقي الذي ابتلى به قراء زماننا في قراءة القرآن من تنغيم وتقطيع على مقاطع الغناء أو ما يسمى بالقراءة بالمقامات

الموسيقية سيكا وصبا وغير ذلك فهذا لا خلاف بين العلماء فقهائهم وقرائهم أنه من البدع المحرمة التي تخرج القرآن عن قدسيته وإعجازه إلى أوضاع ألحان الأغاني من مد مقصور وقصر ممدود وتحريك ساكن وتسكين متحرك وذلك لاقتفاء نغمات الأغاني المطربة المرجعة وقد حذر الرسول من ذلك وبين أنها تكون في آخر الزمان وجوز تمني الموت عند ظهور ذلك كما في حديث عبس الغفاري رضي الله عنه.

قال الإمام الجعبرى رحمه الله فى عقود الجمان ورقة (١):

«كم قارئ يُرْيَنْكَ سَمتَ مجوِّدٍ ... ما يعرفُ التحريكَ من إسكانِ
قد ظنَّ تجويدَ القرآنِ تشدقًا ... وتمايلًا وتنفخَ الوَدَجَانِ
فغَدَا يشدُّ الحرفَ جاهد نفسه ... ويمدُّ مرتعدًا أخا إثخانِ
فالنكرُ في ترتيلِهِ و إذا أتَى ... بالحَذْرِ لم يُسمع سِوى أرنانِ
فأَنَفْ مِنَ الجهلِ الفظيعِ ولا تشمّ ... هفًا أخال بعارضٍ هتانِ» اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «جامع المسائل» (٣/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥):

«**وأما ما أُحدِث بعدهم من تكلُفِ القراءة على ألحان الغناء فهذا يُنهى عنه عند جمهور العلماء، لأنَهُ بدعةٌ**، ولأنَّ ذلك فيه تشبيه القرآن بالغناء، ولأن ذلك يورث أن يبقى قلب القارئ مصروفًا إلى وزن اللفظ بميزان الغناء، لا يتدبره ولا يعقله، وأن يبقى المستمعون يصغون إليه لأجل الصوت الملحَّن، كما يُصغى إلى الغناء، لا لأجل استماع القرآن وفهمه وتدبره والانتفاع به. واللَّه سبحانه أعلم»اهـ.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «التفسير» (١/ ٦٤):

«فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائي، فالقرآن ينزه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب، وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك»اهـ.

وقال بعد ذلك (١/ ٦٥):

«هذه طرق حسنة في باب الترهيب، **وهذا يدل على أنه محذور كبير، وهو قراءة القرآن بالألحان التي يسلك بها مذاهب الغناء، وقد نص الأئمة**، رحمهم الله، **على النهي عنه، فأما إن خرج به إلى التمطيط الفاحش الذي يزيد بسببه حرفا أو ينقص حرفا، فقد اتفق العلماء على تحريمه**، والله أعلم»اهـ.

وقال ابن مفلح رحمه الله في «الآداب الشرعية» (٢/ ٣٠٢):

«وَقَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ: **قِرَاءَةُ القُرآنِ بِصِفَةِ التَّلحِينِ الَّذِي يُشبِهُ تَلحِينَ الغِنَاءِ مَكرُوهٌ مُبتَدَعٌ كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحمَدُ بنُ حَنبَلٍ وَغَيرُهُم مِن الأَئِمَّةِ**»اهـ.

وقال صديق خان رحمه الله في «السراج» (١١/ ٦٠٧ ـ ٦٠٨):

«**ولا شك أن المراد بالتغني ما كانوا يتغنون به على عهد النبوة أي قدر ما يحسنون الصوت ويجهرون به لا هذه الأصوات المحدثة للتجويد والتبديل التي يتعاطاها القراء ويحصل لهم بها عوج الفم والأنف والعين والشفتين وزعج في الأطراف والأعضاء فهذه بدعة بقيت فيها أصحابها وتفصى وتفلت وانفصل القرآن بسببها من صدور الرجال أشد تفصيا من النعم بعقلها**» اهـ.

وقال ابن خلدون رحمه الله في «المقدمة» (٤٧٥):

«**وليس المراد تلحين الموسيقى الصناعي، فإنه لا ينبغي أن يختلف في حظره، إذ صناعة الغناء مباينة للقرآن بكل وجه**»اهـ.

وقال ابن قدامة رحمه الله في «مختصر منهاج القاصدين» (٥٤):

«ويستحب تحسين القراءة، وإذا لم يكن حسن الصوت حسنه ما استطاع، **فأما القراءة بالألحان، فقد كرهها السلف**»اهـ.

وقال صديق خان رَحِمَهُ اللهُ في «فتح البيان» (١٤/ ٢٨٢):

«والمقصود من الترتيل إنما هو حضور القلب عند القراءة لا مجرد إخراج الحروف من الحلقوم بتعويج الوجه والفم وألحان الغناء كما يعتاده قراء هذا الزمان من أهل مصر وغيرها في مكة المكرمة وغيرها **بل هو بدعة أحدثها البطالون الأكالون والحمقى الجاهلون بالشرائع وأدلتها الصادقة** وليس هذا بأول قارورة كسرت في الإسلام.» اهـ ونقله المراغي في تفسيره (٢٩/ ١١٢) مستشهدًا به.

وقال في «السراج الوهاج» (١١/ ٦٠٩):

«**ويستبعد كل البعد أن يكون نبي الله يستجيز مزمارا من المزامير أو يكون صوته في كتاب الله وتلاوته على أصول الموسيقى أو على النهج الذي لا يفهم عبارته ولا يهتدي سامعه إلى مبانيه ودرك معانيه كما يصنع أهل مصر في هذه الأزمنة فذلك لا شك فيه أنه حرام أشد حرمة ولا يجوز بحال**»اهـ.

وقال الدكتور المقرئ: إبراهيم الدوسري في مجلة «جامعة أم القرى» عدد (١٩):

«**وعلماء التجويد والقراءات لا يعتدون بعلم الألحان، وإنما يشتغل به من يتخذون القرآن الكريم حرفة لإحياء الليالي والمآتم ونحوها**، وما ذكره ابن حجر (ت٨٥٢ هـ) وغيره من الأئمة المعتبرين من الجواز في ذلك إنما مرادهم التلحين البسيط الذي لا يؤثر على الأداء الصحيح، وهذا هو محل الخلاف، وما حرره ابن حجر لا مزيد عليه رَحِمَهُ اللهُ، **أم التلحين الموسيقي الذي ابتلي به بعض الناس ممن لا يُعتبرون من علماء التجويد ولا القراءات فلا يختلف في تحريمه**؛ لأن الأداء الصحيح متوقف على مقدار معين في الحركات ومقادير الغنن والمدود، وكذلك التلحين يتعين له مقدار من الصوت لا يتم إلا به، فلا يمكن اجتماعهما في القرآن الكريم المنزل للإعجاز.

وقد ذُكر أن داود عليه السلام له معرفة بالنغم والعزف، وأن المزامير ما صنعت إلا على صوته، ولم يثبت في ذلك نقل صحيح يُعوّل عليه، والصواب تنزيهه عن ذلك، بل آتاه الله تعالى الصوت الحسن هبة إلهية إذ يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [سبأ: ١٠]»اهـ.

ورحم الله الهمذاني إذ قال في «التمهيد» (١٠٠):

«وأنت إذا تأملت أحوال هؤلاء المتكلفين وجدتهم من أهل البدعة والرفاغية[١] والخفض والرفاهية قد رضوا من العلم باللفاء[٢] دون الوفاء»اهـ.

والمتأمل لحال هؤلاء يجدهم أبعد الناس عن سنة الرسول ﷺ وهديه وإن تزيوا بلباس السنة وانتسبوا إليها زورا. فالله الهادي إلى سبيل الرشاد.

مفاسد القراءة بالألحان:

وللقراءة بالألحان مفاسد كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ تشبيه القرآن الكريم كلام الله بكلام أهل الفسق والمجون الذي هو الغناء.

٢ القراءة بالألحان مخالفة لهدي النبي ﷺ ولمنهاج السلف الصالح.

٣ صرف أذهان السامعين إلى التلذذ والطرب بالنغم والألحان بدلا من التدبر في القرآن وفهم معانيه من أمر أو نهي أو وعد أو وعيد أو وعظ أو تخويف أو ضرب مثل أو اقتضاء حكم أو غير ذلك مما أنزل به القرآن. والقرآن نزل للتدبر والعمل قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

---

(١) الرَّفاغِيةُ: سَعةُ العَيشِ والخِصبُ والسَّعةُ، ورَفغُ العيش: سعته وخصبه

(٢) اللَّفاء الخَسِيس من كل شيء وكلُّ شيء يَسيرِ حقير فهو لَفاءٌ ويقال رَضِي فلانٌ من الوَفاء باللَّفاء أي من حقّه الوافي بالقليل

٤ ـ صرف قلب القارئ والسامع عن التدبر إلى وزن اللفظ بميزان الغناء.

٥ ـ الزيادة في كتاب الله تعالى ما ليس منه بالإيقاع والأوزان.

٦ ـ خروج القرآن الكريم عن الزجر والعظة إلى اللهو والطرب.

٧ ـ إشغال الشبيبة بتعلم المقامات الموسيقية عن تعلم العلم الشرعي.

٨ ـ تشبههم بمشركي مكة إذ كانت عبادتهم الغناء والتصفيق كما قال الله ﷻ يذمهم: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥].





أقوال أهل العلم

١ ـ الإمام أبو بكر الآجري (ت ٣٦٠هـ):

قال الإمام أبو بكر الآجري رحمه الله في «أخلاق أهل القُرآن»:

«**وَأَكرَهُ القِرَاءَةَ بِالأَلحَانِ وَالأَصوَاتِ المَعمُولَةِ المُطَرِّبَةِ، فَإِنَّهَا مَكرُوهَةٌ عِندَ كَثِيرٍ مِنَ العُلَمَاءِ**، مِثلِ: يَزِيدَ بن هَارُونَ، وَالأَصمَعِيِّ، وَأَحمَدَ بنِ حَنبَلَ، وَأَبِي عُبَيدٍ القَاسِمِ بنِ سَلام، وَسُفيَانَ بنِ عُيَينَةَ، وَغَيرِ وَاحِدٍ مِن العُلَمَاءِ رضي الله عنهم، يَأمُرُونَ القَارِئَ إِذَا قَرَأَ أَن يَتَحَزَّنَ، وَيَتَبَاكَى، وَيَخشَعَ بِقَلبِهِ»اهـ.

٢ ـ الإمام أبو عبد الله ابن بطة العكبري (٣٠٤هـ ـ ٣٨٣هـ):

قال الإمام أبو عبد الله ابن بطة العكبري رحمه الله في «الشرح والإبانة» (٣٦٧):

«من البدع قراءة القرآن والآذان بالألحان تشبيها بالغناء»اهـ.

٣ ـ الإمام أبو الفرج النهرواني (٣٠٣هـ ـ ٣٩٠هـ):

قال الإمام أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني الجريري رحمه الله في المجلس «الخامس والأربعين» عند الكلام على حديث عبس الغفاري رضي الله عنه في كتابه «الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي» (٢/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥):

«وقوله: «نشءٌ يتخذون القوم مزامير»، فإنه عنى به من حَدَثَ ونَشَأَ من الأشرار بعد من مضى من البررة الأخيار، قال نصيب:

ولَـولا أَن يُـقـالَ صَـبَـا نُـصَـيـبٌ   لَـقُلتُ بِنَفسِيَ النَّشَءُ الصِّغارُ[1]

وهؤلاء الذين عنوا بهذا الخبر **هم الذين يرددون القرآن لبطونهم بالألحان غير خاشعين ولا متعظين ولا معتبرين ولا متفهمين، وأمر هذا النشء في زماننا فاشٍ، فهم من أشد الناس فتنةً، وأعظمهم على أهل الدين بلية، فقد جعلوا اجتماعهم على تلاوة القرآن بمنكر الألحان، ومزامير الشيطان، وعلى تَهِم القيان[2] وملاهيهم من المعازف والعيدان، والزيادة في كتاب الله تعالى ما ليس منه بالإيقاع والأوزان**، وحصل خواص أهل العلم والإيمان بمنزلة إقصاء وهوان، ومن عداهم من حليف فتنة وأسير قَيِنَةٍ، وأكثر من تراه في وقتنا ممن أومئ إليه: **إما واهي العزيمة ضعيف العقدة**، قد تأول المحكم غير تأويله، وتشبث بجملة المتشابه لعجزه عن معرفة تفصيله، **وإما ماجنٌ خليعٌ، أو مغرورٌ مخدوعٌ** قد استفزه الغار له بجرأته وجسارته، واستنزله الماكر به فورطه في خسارته، فأوهمه أن الذي دعاه إليه، وحمله عليه، من أعمال البر، والقرب الكابسة للأجر، وأن النبي ﷺ أشار إلى هذا بما ذكره من التغني بالقرآن، وتحسين التلاوة بالترنم والألحان، والذي عناه النبي ﷺ عندنا، قراءة القرآن بالتحسين والخشوع وتحقيقه وترتيله، وتبيينه وتفصيله، وتحسين الصوت به من غير إحداث زيادة في إضعافه بالزمزمة والنقرات، والهمهمة والنبزات» اهـ.

٤ ـ الإمام الطرطوشي (المتوفى ٥٣٠هـ):

قال الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي رَحِمَهُ اللهُ في «مختصر البدع والحوادث» (٥١ ـ ٥٥):

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) قال ابن منظور: «وتَهِم الرجل فهو تَهِمٌ خَبُثت ريحُه وتهِم الرجل فهو تَهِمٌ: ظهر عجزه وتحير».
والقينةُ: الأَمَةُ مغنيةً كانت أو غير مغنيةٍ، والجمع القِيانُ. والقين العبد. ولإن الغناء أكثر ما كان يتولاه الإماء دون الحرائر سميت المغَنية قينة

«الباب الرابع: في نقل غرائب البدع وإنكار العلماء لها. فصل «القراءة بالألحان» فمن ذلك البدع المحدثة في تلاوة الكتاب العزيز من الألحان والتطريب: قال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] [المزمل: ٤] يعنى فصله تفصيلا وبينه تبينا وترسل فيه ترسيلا ولا تعجل في قراءته وهو من قول العرب: ثغر رتل ورتل إذا كان مفلجا ذا فرج قال مالك: «ولا تعجبني القراءة بالألحان ولا أحبها في رمضان ولا في غيره لأنه يشبه الغناء ويضحك بالقرآن فيقال فلان أقرأ من فلان» بسبب التلحين والتطريب»اهـ.

ثم نقل أقوال سعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي ومحمد بن سيرين وكعب الأحبار وأبي ذر الغفاري وأحمد بن حنبل.

ثم قال: «وقال سلمان: خطبنا على يوما...»فذكر خطبة له طويلة وذكر فيها فتنة قربها وقال فيها: «... **تضيع حقوق الرحمن ويتغنى بالقرآن ذو الطرب والألحان**».

ثم قال الطرطوشي: «فأما أصحاب الألحان فإنما حدثوا في القرن الرابع منهم: محمد بن سعيد صاحب الألحان والكرماني والهيثم وأبان... فكانوا مهجورين عند العلماء فنقلوا القراءة إلى أوضاع لحون الأغاني فمدوا المقصور وقصروا الممدود وحركوا الساكن وسكنوا المتحرك وزادوا في الحرف ونقصوا منه وجزموا المتحرك وحركوا المجزوم لاستفتاء نغمات الأغاني المطربة ثم اشتقوا لها أسماء فقالوا: شذر ونبر وتفريق وتعليق وهز وخز وزمر وزجر وحذف وتشريق وإسجاح وصياح! ثم يقولون: مخرج هذا الحرف من الأنف وهذا من الرأس وهذا من الصدر وهذا من الشدق! فما خرج من القحف[1] فهو صياح وما خرج من الجبهة فهو زجر وما خرج من

(١) قال الفيروزآبادي: «القِحفُ بالكسر: العَظمُ فوق الدِماغِ وما انفَلَقَ من الجُمجُمَةِ فبانَ ولا يُدعَى قِحفًا حتى يَبِينَ أو يَنكسِرَ منه شيءٌ ج: أقحافٌ وقُحوفٌ وقِحَفَةٌ».

اللهوات فهو نبر وما خرج من الأنف فهو مر وما خرج من الحلق فهو خرير وشذر وما خرج من الصدر فهو هرير! ومن ألحانهم في القرآن: النبطي والرومي والحساني والمكي والإسكندراني والمصري والكاروندى والراعي والديباجي والياقوتي والعروسي والزرجون والمرجى والمجوسي والزنجي والمنمنم والسندي وغيرها كرهنا التطويل بذكرها فهذه أسماء ابتدعوها في كتاب الله تعالى: ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾ [يوسف: ٤٠] فالتالي منهم والسامع لا يقصدون فهم معانيه من أمر أو نهى أو وعد أو وعيد أو وعظ أو تخويف أو ضرب مثل أو اقتضاء حكم أو غير ذلك مما أنزل به القرآن وإنما هو للذة والطرب والنغمات والألحان كنقر الأوتار وأصوات المزامير كما قال الله ﷻ يذم قريشا: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ﴾ [الأنفال: ٣٥].

قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩] وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [محمد: ٢٤] وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [الأنفال: ٢].

وهذا يمنع أن يقرأ بالألحان المطربة والمشبهة للأغاني لأن ذلك يثمر ضد الخشوع ونقيض الخوف والوجل.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ﴾ [المائدة: ٨٣].

وهذا يفيد الأمر بتلاوته على هذا الوجه وإن بكاءهم إنما كان مما فهموا من معانيه لا من نغمات القارئ فأين هذا من دَقّ الرِّجْل وثنى العِطْف وتحريك الرأس والصياح والزعق والمكاء والتصدية.

قال تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحشر: ٢١].

فليت شعري! ما الذي يورث خشية الله تعالى؟! أألحان

الكرماني ونغمات الترمذي أو فهم معانيه وتدبر آياته واستخلاص حكمه وعجائب مضمونه؟!»اهـ.

٥ ـ عبد الرحمن الشيزري (ت ٥٨٩هـ):

جعل الإمام أبو النجيب جلال الدين عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله بن محمد العدوي الشيزري الشافعي رَحِمَهُ اللهُ من واجبات المحتسب أن ينهى القراء عن التلحين والقراءة بالأصوات الملحنة فقال في «نهاية الرتبة» (١١٢):

«وَيَأمُرُ المُحتَسِبُ أَهلَ القُرآنِ بِقِرَاءَتِهِ مُرَتَّلًا، كَمَا أَمَرَ اللَّهُ سُبحَانَهُ وتَعَالَى؛ وَيَنهَاهُم عَن تَلحِينِ القُرآنِ وَقِرَاءَتِهِ بِالأَصوَاتِ المُلَحَّنَةِ، كَمَا تُلَحَّنُ الأَغَانِي وَالأَشعَارُ، فَقَد نَهَى الشَّرعُ عَن ذَلِكَ»اهـ.

٦ ـ أبو الفرج ابن الجوزي (٥١٠ ـ ٥٩٧هـ):

قال الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ في «صيد الخاطر» (١١٠):

«تأملت أشياء تجري في مجالس الوعظ، يعتقدها العوام وجهال العلماء قربة، وهي منكر وبعد. وذاك أن المقرئ يطرب ويخرج الألحان إلى الغناء، والواعظ ينشد بتطريب أشعار المجنون وليلى، فيصفق هذا، ويخرق ثوبه هذا، ويعتقدون أن ذلك قربة.

ومعلوم أن هذه الألحان كالموسيقى، توجب طربًا للنفوس ونشوة؛ والتعرض لما يوجب الفساد غلط عظيم. **وينبغي الاحتساب على الوعاظ في هذا، وكذلك المقابريون منهم فإنهم يهيجون الأحزان ليكثر بكاء النساء،** فيعطون على ذلك الأجرة. ولو أنهم أمروا بالصبر لم ترد النسوة ذلك، وهذه أضداد للشرع.

قال ابن عقيل: حضرنا عزاء رجل قد مات له ولد، فقرأ المقرئ: ﴿يَتَأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يُوسُف: ٨٤]، فقلت له: هذه نياحة بالقرآن»اهـ.

٧ ـ الإمام النووي (٦٣١ ـ ٦٧٦هـ):

قال الإمام محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التبيان» (١١٢):

«وهذا القسم الأول من القراءة بالألحان المحرمة مصيبة ابتلي بها بعض الجهلة الطغام الغشمة[1] الذين يقرؤون على الجنائز وبعض المحافل **وهذه بدعة محرمة ظاهرة يأثم كل مستمع لها كما قاله أقضى القضاة الماوردي ويأثم كل قادر على إزالتها أو على النهي عنها إذا لم يفعل ذلك** وقد بذلت فيها بعض قدرتي وأرجو من فضل الله الكريم أن يوفق لإزالتها من هو أهل لذلك وأن يجعله في عافية»اهـ.

٨ ـ شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية (٦٦١: ٧٢٨هـ):

سئل تقي الدين أبو العَباس أحمد بن تيمية الحراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «جامع المسائل» (٣/ ٣٠٣ ـ ٣٠٥):

«الحمد لله رب العالمين. ما تقول أئمةُ الدين ـ رضي الله عنهم أجمعين. وجعلهم عاملين بما علموا. مخلصين مصيبين ـ في قراءة القرآن بما يُخرِجُه عن استقامتِه التي أجمعَ أئمةُ القراءةِ عليها، من تمطيطٍ أو ترجيع بالألحان المُطرِبة، أو مَدٍّ مُجمَع على قَصرِه، أو قَصرٍ مُجمَعٍ على مَدِّه، أو إظهارِ ما أُجمِع على إدغامِه، أو إدغامِ ما أُجمِعَ على إظهارِه، أو تَشدِيدِ ما أُجمِعَ على تخفيفِه، أو تخفيفِ ما أُجمِعَ على تشديدِه، أو بما يُزِيلُ الحرفَ عن مَخرَجِه أو صفتِه، وما أشبهَ ذلك مما يُعَانيه بعض القراء، هل تَجُوز تلك القراءةُ؟ وهل يجوزُ سَماعُها أو استماعُها؟ فإن لم تَجُز، فهل يَلزَمُ سامعَها أن يُنكِر على قارئها؟ فإن لَزِمَه وتَرَكَ فهل يأثَمُ؟ وإن أنكَر على قارئها، ولم يَقبَل القارئُ،

(١) الطَّغامُ: أوغادُ الناسِ ورُذالُ الطَّيرِ. وتَطَغَّمَ: تجاهَلَ. الغشمُ: الظُّلمُ.

فهل يجب عليه شيء أم لا؟ أَفتُونا مأجورين، رحمكم الله. والحمد لله وحده.».

فأجابَ شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:

«الحمد لله. الناسُ مأمورون أن يقرؤوا القرآن على الوجه المشروع، كما كان يقرؤه السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسانٍ، فإنّ القراءةَ سنّةٌ يأخذُها الآخِرُ عن الأول.

وقد تنازع الناسُ في قراءةِ الألحانِ، منهم مَن كرهَها مطلقًا، بل حَرَّمها، ومنهم من رخَّصَ فيها، **وأعدلُ الأقوالِ فيها أنها إن كانت موافقةً لقراءة السَّلفِ كانت مشروعةً، وإن كانت من البدع المذمومة نُهِيَ عنها.**

والسلفُ كانوا يُحَسِّنون القرآنَ بأصواتِهم من غيرِ أن يتكلفوا أوزانَ الغِناء، مثلَ ما كان أبو موسى الأشعري يَفعلُ، فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لقد أُوتِيَ هذا مِزمارًا من مَزاميرِ آلِ داودَ**». وقال لأبي موسى الأشعري: «**مررتُ بك البارحةَ وأنتَ تقرأ، فجعلتُ أستمعُ لقراءتِك**»، فقال: «**لو علمتُ أنك تسمعُ لَحبَّرتُهُ لكَ تحبيرًا**». أي لحسَّنتُه لك تحسينًا.

وكان عمر يقول لأبي موسى الأشعري: «يا أبا موسى، ذَكِّرنا ربَّنا»، فيقرأ أبو موسى وهم يستمعون لقراءته.

وقد قال النبي ﷺ: «**زَيِّنُوا القرآنَ بأصواتِكم**». وقال: «**لَلَّهُ أَشَدُّ أذَنًا إلى الرجلِ الحسنِ الصوتِ بالقرآنِ من صاحبِ القَينةِ إلى قَينَتِه**»[1]. وقال: «**ليس منّا من لم يَتَغَنَّ بالقرآن**».

(١) رواه ابن ماجه (١٣٤٠)، وابن حبان (٦٥٩)، وأحمد (٢٣٩٤٧) والحاكم (٢١٥٠) عن فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، قال الشيخ مقبل الوادعي: قلت بل منقطع، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٩٥١) وضعيف ابن ماجه وضعيف الجامع (٤٦٣٠)

وتفسيرُه عند الأكثرين كالشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهما هو تَحسِين الصوتِ به. وقد فَسَّره ابن عُيينة ووكيع وأبو عبيد على الاستغناء به. فإذا حَسَّنَ الرجلُ صوتَه بالقرآن كما كان السلف يفعلونه ـ مثل أبي موسى الأشعري وغيره ـ فهذا حسن.

وأما ما أُحدِثَ بعدَهم من تكلُّفِ القراءةِ على ألحانِ الغناءِ فهذا يُنهَى عنه عند جمهور العلماء، لأنَّهُ بدعةٌ، ولأنَّ ذلك فيه تشبيه القرآن بالغناء، ولأن ذلك يُورِثُ أن يَبقَى قلبُ القارئ مصروفًا إلى وزنِ اللفظ بميزان الغناءِ، لا يَتدبَّرهُ ولا يَعقِله، وأن يَبقَى المستمعون يُصغُون إليه لأجل الصوت الملحَّن، كما يُصغَى إلى الغناء، لا لأجلِ استماعِ القرآن وفهمِه وتَدبُّرِه والانتفاع به. والله سبحانه أعلم»اهـ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الاستقامة» (٢٤٤ ـ ٢٤٧):

«وهذا القرآن الذي هو كلام الله وقد ندب النبي ﷺ إلى تحسين الصوت به وقال: «**زينوا القرآن بأصواتكم**» وقال لأبي موسى: «**لقد مررت بك البارحة وأنت تقرأ فجعلت أستمع لقراءتك**» فقال: «**لو علمت أنك تستمع لحبرته لك تحبيرا**» وكان عمر يقول: «**يا أبا موسى ذكرنا ربنا**» فيقرأ أبو موسى وهم يستمعون[(١)] وقال النبي ﷺ: «**ما أذن الله لشئ كأذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن ويجهر به**».

وقال: «**لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته**»[(٢)].

ومع هذا فلا يسوغ أن يقرأ القرآن بألحان الغناء ولا أن

(١) ذكر ابن حبان في«الإحسان»بعد حديث (٧١٩٦) «قَد أُوتِيَ هذَا مِن مزامِيرِ آلِ دَاوُدَ». قول أبِي سَلَمَةَ: «وَكَانَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ لِأَبِي مُوسَى - وَهُوَ جَالِسٌ فِي المَجلِسِ -: يَا أَبَا مُوسَى ذَكِّرنَا رَبَّنَا فَيَقرَأُ عِندَهُ أَبُو مُوسَى وَهُوَ جَالِسٌ فِي المَجلِسِ وَيَتَلَاحَنُ» قال الألباني في التعليقات الحسان: ضعيف منقطع.

(٢) ضعيف سبق تخريجه

يقرن به من الألحان ما يقرن بالغناء من الآلات وغيرها لا عند من يقول بإباحة ذلك ولا عند من يحرمه بل المسلمون متفقون على الإنكار لأن يقرن بتحسين الصوت بالقرآن الآلات المطربة بالفم كالمزامير وباليد كالغرابيل.

فلو قال قائل: النبي ﷺ قد قرأ القرآن وقد استقرأه من ابن مسعود وقد استمع لقراءة أبي موسى وقال: «**لقد أوتى مزمارا من مزامير داود**». فإذا قال قائل: إذا جاز ذلك بغير هذه الألحان فلا يتغير الحكم بأن يسمع بالألحان كان هذا منكرا من القول وزورا باتفاق الناس»اهـ.

٩ ـ الحافظ ابن قيم الجوزية رحمه الله (٦٩١ ـ ٧٥١هـ):

قال الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم الجوزية رحمه الله في «الزاد» **(١/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣)** بعد أن ذكر أقوال المانعين والمجوزين:

«وفصل النزاع، أن يقال: التطريب والتغنِّي على وجهين، أحدهما: ما اقتضته الطبيعة، وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين ولا تعليم، بل إذا خُلّي وطبعه، واسترسلت طبيعته، جاءت بذلك التطريب والتلحين، فذلك جائز، وإن أعان طبيعتَه بفضلِ تزيين وتحسين، كما قال أبو موسى الأشعري للنبي ﷺ: «لَو علمتُ أنّكَ تَسمَع لَحَبَّرتُه لَكَ تحبِيرًا» والحزين ومَن هاجه الطرب، والحبُ والشوق لا يملك من نفسه دفعَ التحزين والتطريب في القراءة، ولكن النفوسَ تقبلُه وتستحليه لموافقته الطبع، وعدم التكلف والتصنع فيه، فهو مطبوع لا متطبِّع، وكَلفٌ لا متكلَف، فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويستمعونه، وهو التغني الممدوح المحمود، وهو الذي يتأثر به التالي والسامعُ، وعلى هذا الوجه تُحمل أدلة أرباب هذا القول كلها.

الوجه الثاني: ما كان من ذلك صناعةً من الصنائع، وليس في الطبع

السماحة به، بل لا يحصُل إلا بتكلُّف وتصنُّع وتمرُّن، كما يتعلم أصوات الغِناء بأنواع الألحان البسيطة، والمركبة على إيقاعات مخصوصة، وأوزانٍ مخترعة، لا تحصل إلا بالتعلُّم والتكلف، فهذه هي التي كرهها السلفُ، وعابوها، وذمّوها، ومنعوا القراءةَ بها، وأنكروا على من قرأ بها، وأدلة أرباب هذا القول إنما تتناول هذا الوجه، وبهذا التفصيل يزول الاشتباهُ، ويتبين الصوابُ من غيره، **وكلُّ من له علم بأحوال السلف، يعلم قطعًا أنهم بُرآء من القراءة بألحان الموسيقى المتكلفة، التي هي إيقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة، وأنهم أتقى لله من أن يقرؤوا بها، ويُسوّغوها،** ويعلم قطعًا أنهم كانوا يقرؤون بالتحزين والتطريب، ويحسِّنون أصواتَهم بالقرآن، ويقرؤونه بِشجيً تارة، وبِطَربِ تارة، وبِشوق تارة، وهذا أمر مركوز في الطباع تقاضيه، ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطباع له، بل أرشد إليه وندب إليه، وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به، وقال: «لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بِالقرآنِ» وفيه وجهان: أحدهما: أنه إخبار بالواقع الذي كلُّنا نفعله، والثاني: أنه نفي لهدي من لم يفعله عن هديه وطريقته ﷺ» اهـ.

١٠ ـ **الإمام أبو عبد الله محمد بن مفلح** رَحِمَهُ اللَّهُ (٧١٢ ـ ٧٦٣ هـ):

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الآداب الشرعية» (٢/ ٣٠١ ـ ٣٠٢):

«فَصلٌ «فِي التِّلَاوَةِ بِأَلحَانِ الخَاشِعِينَ لاَ أَلحَانِ المُطرِبِينَ»

وَكَرِهَ أَصحَابُنَا قِرَاءَةَ الإِدَارَةِ وَقَالَ حَربٌ: هِيَ حَسَنَةٌ. وَقَالَ فِي المُستَوعِبِ: قِرَاءَةُ الإِدَارَةِ وَتَقطِيعُ حُرُوفُ القُرآنِ مَكرُوهٌ عِندَهُ. وَكَرِهَ أَحمَدُ قِرَاءَةَ الأَلحَانِ وَقَالَ هِيَ بِدعَةٌ. قِيلَ: يُهجَرُ مَن سَمِعَهَا قَالَ لَا وَقَالَ فِي رِوَايَةِ يَعقُوبَ لَا يُعجِبُنِي أَن يَتَعَلَّمَ الرَّجُلُ الأَلحَانَ إلَّا أَن يَكُونَ حَزمُهُ مِثلَ حَزمِ أَبِي مُوسَى. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: فَيُكَلَّمُونَ؟ قَالَ: لَا كُلُّ ذَا. وَرَأَيتُ فِي مَوضِعٍ

آخَرَ إِلَّا أَن يَكُونَ ذَلِكَ حِزبَهُ فَيَقرَأُ بِحُزنٍ مِثلَ صَوتِ أَبِي مُوسَى. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ فِي مَوضِعٍ: أَكرَهُ القِرَاءَةَ بِالأَلحَانِ. وَقَالَ فِي مَوضِعٍ آخَرَ: لَا أَكرَهُهَا قَالَ أَصحَابُهُ: حَيثُ كَرِهَهَا أَرَادَ إِذَا مَطَّطَ وَأَخرَجَ الكَلَامَ عَن مَوضُوعِهَا، وَحَيثُ أَبَاحَهَا أَرَادَ إِذَا لَم يَكُن فِيهَا تَغيِيرٌ لِمَوضُوعِ الكَلَامِ. وَقَالَ القَاضِي عِيَاضٌ: اختَلَفُوا فِي القِرَاءَةِ بِالأَلحَانِ فَكَرِهَهَا مَالِكٌ وَالجُمهُورُ لِخُرُوجِهَا عَمَّا جَاءَ القُرآنُ لَهُ مِن الخُشُوعِ وَالتَّفَهُّمِ وَأَبَاحَهَا أَبُو حَنِيفَةَ وَجَمَاعَةٌ مِن السَّلَفِ لِلأَحَادِيثِ; وَلِأَنَّهُ سَبَبٌ لِلرِّقَّةِ وَإِثَارَةِ الخَشيَةِ وَإِقبَالِ النُّفُوسِ عَلَى استِمَاعِهِ. وَقَالَ الشَّيخُ تَقِيُّ الدِّينِ: قِرَاءَةُ القُرآنِ بِصِفَةِ التَّلحِينِ الَّذِي يُشبِهُ تَلحِينَ الغِنَاءِ مَكرُوهٌ مُبتَدَعٌ كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحمَدُ بنُ حَنبَلٍ وَغَيرُهُم مِن الأَئِمَّةِ»اهـ.

١١ ـ الحافظ عماد الدين ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٧٠٠ ـ ٧٧٣هـ):

قال الحافظ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة التفسير (١/ ٦٤ ـ ٦٥) وكذا في «فضائل القرآن» (١٩٥ ـ ١٩٨):

«والغرض أن المطلوب شرعًا، إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تَدَبُّرِ القرآن وتفهمه، والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة .**فأما الأصوات بالنغمات المحدثة، المركبة على الأوزان، والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائي، فالقرآن يُنَزَّه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب** .وقد جاءت السُّنَّةُ بالزجر عن ذلك، كما قال الإمام العلم أبو عُبَيد القاسم بن سلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ».

وذكر حديث «اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها»وهو ضعيف ضعفه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ضعيف الجامع (١٠٦٧) وحديث عبس الغفاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «بادروا بالأعمال...».

وذكر عن أنس بن مالك: «أنه سمع رجلا يقرأ القرآن بهذه الألحان التي أحدث الناس، فأنكر ذلك ونهى عنه».

ثم قال ابن كثير: «هذه طرق حسنة في باب الترهيب، **وهذا يدلُّ على أنه محذور كبير، وهو قراءة القرآن بالألحان التي يسلك بها مذاهب الغناء**، وقد نصَّ الأئمة ـ رحمهم الله ـ على النهي عنه، فأما إن خرج به إلى التمطيط الفاحش، الذي يزيد بسببه حرفًا أو ينقص حرفًا، فقد اتفق العلماء على تحريمه، والله أعلم» اهـ.

١٢ ـ العلامة ابن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ: ١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م):

قال العلامة أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، ولي الدين الحضرمي الاشبيلي المغربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المقدمة» (٤٧٥ ـ ٤٧٦):

«وقد أنكر مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى القراءة بالتلحين، وأجازها الشافعي رضي الله تعالى عنه. **وليس المراد تلحين الموسيقى الصناعي، فإنه لا ينبغي أن يختلف في حظره، إذ صناعة الغناء مباينة للقرآن بكل وجه**، لأن القراءة والأداء تحتاج إلى مقدار من الصوت لتعيين أداء الحروف لا من حيث إتباع الحركات في موضعها، ومقدار المد عند من يطلقه أو يقصره، وأمثال ذلك. والتلحين أيضًا يتعين له مقدار من الصوت لا يتم إلا به من أجل التناسب الذي قلناه في حقيقة التلحين. واعتبار أحدهما قد يخل بالأخر إذا تعارضا. وتقديم التلاوة متعين من تغيير الرواية المنقولة في القرآن، **فلا يمكن اجتماع التلحين والأداء المعتبر في القرآن بوجه. وإنما مرادهم التلحين البسيط الذي يهتدي إليه صاحب المضمار بطبعه كما قدمناه**، فيردد أصواته ترديدًا على نسب يدركها العالم بالغناء وغيره، ولا ينبغي ذلك بوجه كما قاله مالك. هذا هو محل الخلاف. والظاهر تنزيه القرآن عن هذا كله كما ذهب إليه الإمام رحمه الله تعالى، لأن القرآن محل خشوع بذكر الموت وما بعده وليس مقام التذاذ بإدراك الحسن من الأصوات. وهكذا كانت قراءة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كما في أخبارهم.

وأما قوله ﷺ: «**لقد أوتي مزمارًا من مزامير آل داود**»، **فليس المراد به**

الترديد والتلحين، إنما معناه حسن الصوت وأداء القراءة والإبانة في مخارج الحروف والنطق بها»اهـ.

١٣ ـ البزازي رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت ٨٢٧هـ = ١٤٢٤م):**

قال محمد بن محمد بن شهاب بن يوسف الكردري البريقيني الخوارزمي الشهير بالبزازي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قِرَاءَةُ القُرآنِ بِالأَلحَانِ مَعصِيَةٌ وَالتَّالِي وَالسَّامِعُ آثِمَانِ»اهـ.

١٤ ـ الإمام القسطلاني رَحِمَهُ اللَّهُ **(٨٥١ ـ ٩٢٣هـ = ١٤٤٨ ـ ١٥١٧م):**

قال الإمام أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري رَحِمَهُ اللَّهُ في «إرشاد الساري» (٧/ ٤٨١):

«**وقد علم مما ذكرناه أن ما أحدثه المتكلفون بمعرفة الأوزان والموسيقى في كلام الله من الألحان والتطريب والتغني المستعمل في الغناء بالغزل على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة أن ذلك من أشنع البدع وأسوأ** [...][(١)] **وأنه يوجب على سامعهم النكير وعلى التالي التعزير** نعم إن كان التطريب والتغني مما اقتضته طبيعة القارئ وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين وتعليم ولم يخرج عن حد القراءة فهذا جائز وإن أعانته طبيعته على فضل تحسين»اهـ.

١٥ ـ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:

السؤال الثاني من الفتوى رقم (٨٢٩) التي وردت إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء حول تحسين الصوت في القراءة وكان السؤال كما في كتاب «فتاوى اللجنة الدائمة» (٤/ ٢١ ـ ٢٢):

س٢: حكم تحسين الصوت في القرآن والأذان؟

وأجابت اللجنة بالإجابة التالية:

---

(١) بياض في الأصل

«الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه. **وبعد:**

إن كان تحسين الصوت بهما لا يصل إلى حد الغناء بهما فذلك حسن، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: كان ﷺ يحب حسن الصوت بالأذان والقرآن ويستمع إليه، وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن ويجهر به**» متفق عليه، ولقوله ﷺ: «**زينوا القرآن بأصواتكم**» رواه أحمد وأصحاب السنن إلا الترمذي وابن حبان والحاكم عن البراء، وزاد الحاكم: «**فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنًا**».

قال بعض أهل العلم: معنى يتغنى بالقرآن: يحسن قراءته ويترنم به ويرفع صوته به، كما قال أبو موسى للنبي ﷺ: «لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبرته لك تحبيرًا»، **وأما أداؤهما بالألحان والغناء فذلك غير جائز.**

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه [المغني]: «وكره أبو عبد الله القراءة بالألحان وقال: هي بدعة...» إلى أن قال: «وكلام أحمد محمول على الإفراط في ذلك، بحيث يجعل الحركات حروفًا ويمد في غير موضعه». اهـ.

وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم»اهـ.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	رئيس اللجنة
عبد الله بن منيع	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

١٦ ـ فضيلة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ (١٣٣٠_١٤٢٠هـ : ١٩٢٠ _ ١٩٩٩هـ):

جاء في «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لفضيلة الشيخ/ عبد العزيز ابن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ مفتي المملكة السعودية الأسبق **تحت عنوان (حكم قراءة القرآن على طريقة المغنين)** (٩/ ٢٩٠):

«س: ماذا يقول سماحتكم في قارئ القرآن بواسطة مقامات هي

أشبه بالمقامات الغنائية بل هي مأخوذة منها أفيدونا بذلك جزاكم الله خيرا؟».

فكان جوابه رَحِمَهُ اللَّهُ:

«لا يجوز للمؤمن أن يقرأ القرآن بألحان الغناء وطريقة المغنيين بل يجب أن يقرأه كما قرأه سلفنا الصالح من أصحاب الرسول ﷺ وأتباعهم بإحسان، فيقرأه مرتلا متحزنا متخشعا حتى يؤثر في القلوب التي تسمعه وحتى يتأثر هو بذلك. أما أن يقرأه على صفة المغنيين وعلى طريقتهم فهذا لا يجوز»اهـ.

١٧ ـ الموسوعة الفقهية الكويتية:

جاء في «الموسوعة الفقهية الكويتية» (٤/ ٨٧ ـ ٨٨):

«ذهب الجمهور إلى عدم جواز استماع تلاوة القرآن الكريم بالتّرجيع والتّلحين المفرط الّذي فيه التّمطيط، وإشباع الحركات. والتّرجيع: أي التّرديد للحروف والإخراج لها من غير مخارجها. وقالوا: التّالي والمستمع في الإثم سواءٌ، أي إذا لم ينكر عليه أو يعلّمه. أمّا تحسين الصّوت بقراءة القرآن من غير مخالفةٍ لأصول القراءة فهو مستحبٌّ، واستماعه حسنٌ، لقول رسول اللّه ﷺ: «**زيّنوا القرآن بأصواتكم**» وقوله عليه الصلاة والسلام في أبي موسى الأشعريّ: «**لقد أوتي مزمارًا من مزامير آل داود**». وعلى هذا يحمل قول الإمام الشّافعيّ في الأمّ: لا بأس بالقراءة بالألحان وتحسين الصّوت بها بأيّ وجهٍ ما كان، وأحبّ ما يقرأ إليّ حدرًا وتحزينًا: وذهب بعض الشّافعيّة ـ كالماورديّ ـ إلى أنّ التّغنّي بالقرآن حرامٌ مطلقًا، لإخراجه عن نهجه القويم، وقيّده غيره بما إذا وصل به إلى حدٍّ لم يقل به أحدٌ من القرّاء، وذهب بعض الحنابلة كالقاضي أبي يعلى إلى أنّ قراءة القرآن بالألحان مكروهةٌ على كلّ حالٍ، لإخراج القرآن عن نهجه القويم، وفسّروا قوله ﷺ: «**ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن**». بأنّ معناه: يستغني به»اهـ.

وجاء في ثنايا الكلام عن التجويد وما يخل به (١/ ١٨٢ ـ ١٨٤):
«**وأمّا النّوع الثّاني من الإخلال فهو ما يحصل من الزّيادة والنّقص عن الحدّ المنقول من أوضاع التّلاوة، سواء في أداء الحرف أو الحركة عند القراءة، وسبب الإخلال القراءة بالألحان المطربة المرجّعة كترجيع الغناء، وهو ممنوع لما فيه من إخراج التّلاوة عن أوضاعها الصّحيحة، وتشبيه القرآن بالأغاني الّتي يقصد بها الطّرب**. واستدلّوا بحديث عبس ﷺ قال: إنّي سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**بادروا بالموت ستًّا: إمرة السّفهاء، وكثرة الشّرط، وبيع الحكم، واستخفافًا بالدّم، وقطيعة الرّحم، ونَشوًا يتّخذون القرآن مزامير يقدّمونه يغنّيهم، وإن كان أقلّ منهم فقها**».

قال الشّيخ زكريّا الأنصاريّ: والمراد بلحون العرب: القراءة بالطّبع والسّليقة كما جبلوا عليه من غير زيادة ولا نقص، والمراد بلحون أهل الفسق والكبائر: الأنغام المستفادة من علم الموسيقى، والأمر في الخبر محمول على النّدب، والنّهي على الكراهة إن حصلت المحافظة على صحّة ألفاظ الحروف، وإلّا فعلى التّحريم.

قال الرّافعيّ: المكروه أن يفرّط في المدّ وفي إشباع الحركات، حتّى يتولّد من الفتحة ألف ومن الضّمّة واو... إلخ قال النّوويّ: **الصّحيح أنّ الإفراط على الوجه المذكور حرام يفسق به القارئ ويأثم به المستمع، لأنّه عدل به عن منهجه القويم**، وهذا مراد الشّافعيّ بالكراهة. وقد أورد علماء التّجويد نماذج من ذلك، فمنها ما يسمّى بالتّرقيص، والتّحزين، والتّرعيد، والتّحريف، والقراءة باللّين والرّخاوة في الحروف، والنّقر بالحروف وتقطيعها»اهـ.



أقوال أئمة القراءة

١ ـ الإمام أبو العلاء الهمذاني رَحِمَهُ اللَّهُ **(٤٨٨ ـ ٥٦٩هـ = ١٠٩٥ ـ ١١٧٣م):**

قال أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن سهل الهمذاني العطار رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «التمهيد في معرفة التجويد» (٣٢):

«وتزيين القراءة هو إعطاء الحروف حقوقها على ما بينا قبل لا ما أحدثه العمى المقبريون والغُثر[١] الأعجميون لأن ذلك يفضى إلى تغيير المقاصد والمعاني ويقرب قراءة الوحي المنزل من ألحان الأغاني»اهـ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ (٤٥):

«فأما ما ورد عنه ﷺ من التغني بالقرآن فانه ليس من هذه الألحان المحدثة النكرة بشيء لكنه إن حمل على الاستغناء به عن حطام الدنيا لقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**القرآن غنى لا غنى دونه ولا فقر بعده**»[٢] فمعناه ظاهر لا خفاء به وإن حمل على الغناء الممدود فإنما المراد به تحسين الصوت والتحزين»اهـ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ (٩٣):

«**ثم إني ألفيت جماعة من المتكلفين من قراء زماننا قد اعتمدوا في حفظ القرآن على المصحف وفى علومه على الصحف**

(١) الغُثرُ بالضم: سَفلَةُ الناسِ

(٢) سبق تخريجه

فالمتباهي منهم إذا حرك رأسه، وضيق عند القراءة أنفاسه، ودرت أوداجه، واحتد مزاجه، وأفرط في الحركات، ورعد المدات، وغلظ الراءات واللامات، يرى أنه قد بالغ في تجويد القراءة وترتيلها وتحقيق التلاوة وترسيلها.

وقد كان حمزة رَحِمَهُ ٱللَّهُ على شدة تمسكه بالتحقيق من أكره الناس للإفراط بالتشديق»اهـ.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٩٧):

«قلت: وإنما يدعو هؤلاء الجهال إلى هذا التقعير[١] و التشديق[٢] أنهم يسمعون القراءة الصحيحة والألفاظ القويمة ممن خدم الأستاذين، وقرأ على الشيوخ المبرزين، وتكلف مقاساة الأسفار وقطع البراري والقفار وتسنُّم الآكام[٣] والعقاب الأوعار[٤] والتطواف في المدن والأمصار، فيودون على جهلهم أن ينخرطوا في سلك الحذاق ويجروا وهم كوادن[٥] في مضمار[٦] العِتاق[٧] اهـ.

٢ ـ الإمام أبو محمد المرادي (ت ٧٤٩ هـ):

قال الإمام الحسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ، أبو محمد بدر

---

(١) قَعَّرَ في كلامِهِ تَقعيرًا وتَقَعَّرَ: تَشَدَّقَ وتَكَلَّمَ بأقصى فَمِهِ. فالتقعير التشدق.

(٢) الشِّدقُ: طَفطَفَةُ الفَمِ من باطِنِ الخَدَّينِ و من الوادي: عُرضاهُ وناحِيَتاهُ. وتَشَدَّقَ: لَوَى شدقَه للتَفَصُّحِ.

(٣) الآكام جمع: أكمة والأَكَمَةُ محرَّكَةً: التَّلُّ من القُفِّ من حجارَةٍ واحدةٍ أو هي دونَ الجبالِ أو الموضِعُ يكونُ أشَدَّ ارتفاعًا مما حولَه وهو غليظٌ لا يبلُغُ أن يكون حجرًا

(٤) العِقابُ جمع عَقَبة بالتَّحريكِ والعَقَبةُ: مرقىً صعبٌ من الجِبال. و الأوعار جمع وَعر والوَعرُ: ضِدُّ السَّهلِ والوَعرُ أيضا: جبلٌ.

(٥) كوادن: مفردها كَوْدَن، وهو البرذون الهَجينُ وهو البغل ويُشَبَّه به البَلِيد

(٦) المِضمارُ: الموضعُ تُضمَرُ فيه الخَيلُ وغايةُ الفرسِ في السِّباقِ.

(٧) العِتاقُ مفردها عِتقٌ. يقال: فرسٌ عَتقٌ و عَتِيقٌ، أي رائعٌ كريم بَيِّن العتق. والعِتقُ أيضا: الجمال

الدين المعروف بابن أم قاسم المرادي الفقيه المالكي النحوي اللغوي رحمه الله في شرحه لعمدة المفيد (١٦١ ـ ١٦٢) عند قول السخاوي: «**واجتنب نكرا يجئ به ذوو الألحان**»:

«**تحذير لقارئ كتاب الله تعالى عن الاقتداء بأهل البدع في قراءة القران بالألحان المطربة المرجعة كترجيع الغناء فإن ذلك ممنوع لما فيه من إخراج التلاوة عن أوضاعها وتشبيه كلام رب العزة بالأغاني التي يقصد بها الطرب** قال الشيخ أبو محمد بن أبى زيد: كتاب الله ينبغي ألا يتلى إلا بسكينة ووقار وما يوقن أن الله يرضى به ويقترب منه مع إحضار الفهم لذلك وعلى هذا مضى السلف الصالح من الصحابة والتابعين وإنما أحدث أهل الألحان في القرآن في القرن الرابع كمحمد بن سعيد والكرماني والهيثم وإبان فكانوا مهجورين عند العلماء فنقلوا القراءة إلى أوضاع لحون الأغاني فمدوا المقصود وقصروا الممدود وحركوا الساكن وسكنوا المتحرك وزادوا في الحروف ونقصوا لاستيفاء نغمات الأغاني واخترعوا لكل لحن منها لقبا كالرومي والإحسابي والإسكندراني والديباج وغير ذلك مما نكره التطويل بذكره ولا يجوز القراءة بشيء فيه لأنه يغير أوضاع التلاوة ولم يزل السلف ينهون عن التطرف في القراءة»اهـ.

٣ ـ الإمام ابن الجزري (٧٥١ ـ ٨٣٣هـ = ١٣٥٠ ـ ١٤٢٩م):

قال الإمام أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي، الشهير بابن الجزري رحمه الله في كتابه «التمهيد» (٤٤ ـ ٤٥):

«**إن مما ابتدع الناس في قراءة القران أصوات الغناء وهي التي أخبر بها رسول الله ﷺ أنها ستكون بعده ونهى عنها** ويقال إن أول ما غني به من القرآن قوله ﷻ: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الكهف: ٧٩] نقلوا ذلك من تغنيهم بقول الشاعر:

أمّا القَطاةُ فإنّي سوف أنْعَتُها ... نَعتًا يُوافِقُ نَعتي بعضَ ما فيها

وقد قال رسول الله ﷺ في هؤلاء: «**مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم**».

وابتدعوا أيضًا شيئًا سموه الترقيص: وهو أن يروم السكت على الساكن ثم ينفر مع الحركة في عدو وهرولة.

وآخر سموه الترعيد: وهو أن يرعد صوته كالذي يرعد من برد وألم وقد يخلط بشيء من ألحان الغناء.

وآخر يسمى التطريب: وهو أن يترنم بالقرآن ويتنغم به فيمد في غير مواضع المد ويزيد في المد على ما ينبغي لأجل التطريب فيأتي بما لا تجيزه العربية كثر هذا الضرب في قراء القرآن.

وآخر يسمى التحزين: وهو أن يترك طباعه وعادته في التلاوة ويأتي بالتلاوة على وجه آخر كأنه حزين يكاد يبكي مع خشوع وخضوع ولا يأخذ الشيوخ بذلك لما فيه من الرياء.

وآخر أحدثه هؤلاء الذين يجتمعون فيقرءون كلهم بصوت واحد فيقولون في نحو قوله: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠] (أفل يعقلون) (أول يعلمون) فيحذفون الألف وكذلك يحذفون الواو فيقولون: (قال آمنا) والياء فيقولون: (يوم الدن) في ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] ويمدون ما لا يمد ويحركون السواكن التي لم يجز تحريكها ليستقيم لهم الطريق التي سلكوها وينبغي أن يسمى هذا التحريف.

وأما قراءتنا التي نقرأ ونأخذ بها فهي القراءة السهلة المرتلة العذبة الألفاظ التي لا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء على وجه من وجوه القراءات فنقرأ لكل إمام بما نقل عنه من مد أو قصر أو همز أو تخفيف همز أو تشديد أو تخفيف أو إمالة أو فتح أو إشباع أو نحو ذلك»اهـ.

٤ ـ الملا علي القاري (٠٠٠ ـ ١٠١٤هـ = ٠٠٠ ـ ١٦٠٦م):

قال الإمام أبو الحسن نور الدين الملا علي بن سلطان محمد، الهروي القاري المكي الحنفي رَحِمَهُ اللهُ في «المنح الفكرية» (٢٢ ـ ٢٣):

«وفي الموطأ وسنن النسائي عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ **«اقرءُوا القُرآنَ بِلُحُونِ العَرَبِ وإياكم ولحون أهل الفسق والكتابين»** وفي رواية **«أهلِ العِشقِ وَأهلِ الكِتَابَينِ، فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ قَومٌ بَعدِي يُرَجِّعُونَ بِالقُرآنِ تَرجِيعَ الغِنَاءِ وَالرَّهبَانِيَةِ وَالنَّوحِ، لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُم، مَفتُونَةٌ قُلُوبُهُم وَقُلُوبُ الَّذِينَ يُعجِبُهُم شَأنُهُم»**(١).

والمراد بألحان العرب: القراءة بالطبائع والأصوات السليقة وبألحان أهل الفسق: الأنغام المستفادة من القواعد الموسيقية والأمر محمول على الندب والنهي محمول على الكراهة إن حصل له معه المحافظة على صحة ألفاظ الحروف وإلا فمحمول على التحريم والقوم الذي لا تجاوز حناجرهم قراءتهم الذين لا يتدبرونه ولا يعلمون به ومن جملة العلم به الترتيل والتلاوة حق تلاوته ونقل الزيلعي من الأئمة الحنفية أنه «لَا يَحِلُّ التَّطرِيبُ فِيهِ وَلَا يَحِلُّ الِاستِمَاعُ إلَيهِ؛ لِأَنَّ فِيهِ تَشَبُّهًا بِفِعلِ الفَسَقَةِ فِي حَالِ فِسقِهِم وَهُوَ التَّغَنِّي»اهـ.

ولا يعكر عليه قوله ﷺ **«ليس منا من لم يتغن بالقرآن» لأن المراد بالتغني به الاستغناء على ما اختاره سفيان بن عيينة ونقله عنه شارح المصابيح أو المراد به تحسين الصوت وتزيينه على وفق التجويد وتبيينه لقوله ﷺ**: «**زينوا القرآن بأصواتكم**» ومن القراءة المنهية ما أحدثه الجماعة الأزهرية حيث يجتمعون فيقرءون بصوت واحد ويقطعون القرآن فيأتي بعضهم ببعض الكلمة والآخر ببعضها ويحذفون حرفًا ويزيدون آخر ويحركون الساكن ويسكنون المتحرك وأمثالها ويمدون تارة ويقصرون أخرى في غير محالها مراعاة للأصوات خاصة دون أحوالها **مع أن الغرض الأهم من القراءة إنما هو تصحيح مبانيها لظهور معانيها بما فيها** كما قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩] نعم إذا اجتلبت

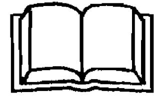
(١) ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (١٠٦٧)

المباني على أسماع السامع والتالي في أعلى معارضها وأجلى جهات النطق بها كان تلتقي القلوب وإقبال النفوس عليها زائدًا في الحلاوة على ما لم يبلغ منها فحينئذ ينتج اكتساب أوامره واجتناب زواجره والرغبة في وعده والرهبة من وعيده وتلك فائدة جسيمة وعائدة عظيمة وهذا معنى قوله ﷺ: «**زينوا القرآن بأصواتكم**» أي أظهروا زينتها بحسن أصواتكم وهذا لا ينافي ما ورد من قوله ﷺ «**زينوا أصواتكم بالقرآن**».

وقال: وقال قاضي خان في فتاواه: «لو قرأ القرآن في صلاته بالألحان إن غير الكلمة تفسد صلاته لِمَا عُرِفَ؛ فإن كان ذلك في حرف المد واللين لا يغير المعنى إلا إذا فحش»اهـ وفيه بحث إذ فُحشُ امتدادِ حروف المد لا يغير المعنى أبدًا.

قال: «وعند الشافعي الخطأ في غير الفاتحة لا يفسد الصلاة لأن الكلام عنده لا يقطع الصلاة إذا لم يكن متعمدا وهذا ليس بمتعمد لأنه يريد قراءة القرآن وإنما تفسد الصلاة بالخطأ في الفاتحة لأنه عنده لا تجوز الصلاة بدون الفاتحة وإن قراءة القرآن بالألحان في غير الصلاة اختلفوا في جوازه وعامة المشايخ على منعه وكرهوا الاستماع أيضًا لأنه تشبه بالفسقة بما يفعلونه في فسقهم وكذا الترجيع في الأذان»اهـ ولعل محل اختلاف الجواز ما لم يغير المبنى والمعنى والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم رأيت في «شرح منية المصلى»: رجل يقرأ ويلحن يجب على السامع أن يرده إلى الصواب إن علم أنه لا يقع بسبب ذلك عداوة وضغن وإلا فهو في سعة من تركه ويكره الترجيع والتلحين بقراءة القرآن عند عامة المشايخ لأنه شبيه بفعل الفسقة وهذا إذا كان لا يغير الحروف أما اللحن المغير فحرام بلا خلاف وهو الغاية في المدعي»اهـ.

نصيحة
لمن رزقه الله الصوت الحسن

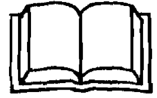
وانقل هنا لمن رزقه الله الصوت الحسن نصيحة من الإمام الآجري رَحِمَهُ اللهُ حيث قال في «أخلاق أهل القرآن» ص (١٦١):

«يَنبَغِي لِمَن رَزَقَهُ اللهُ حُسنَ الصَّوتِ بِالقُرآنِ أَن يَعلَمَ أَنَّ اللهَ قَد خَصَّهُ بِخَيرٍ عَظِيمٍ، فَلِيَعرِف قَدرَ مَا خَصَّهُ اللهُ بِهِ، وَلِيَقرَأهُ للهِ، لا لِلمَخلُوقِينَ، وَلِيَحذَر مِنَ المَيلِ إِلَى أَن يُستَمَعَ مِنهُ لِيَحظَى بِهِ عِندَ السَّامِعِينَ، رَغبَةً فِي الدُّنيَا، وَالمَيلِ إِلَى الثَّنَاءِ، وَالجَاهِ عِندَ أَبنَاءِ الدُّنيَا، وَالصَّلاتِ بِالمُلُوكِ دُونَ الصَّلاتِ بِعَوَامِّ النَّاسِ.

فَمَن مَالَت نَفسُهُ إِلَى مَا نَهَيتُهُ عَنهُ خِفتُ أَن يَكُونَ حُسنَ صَوتِهِ فِتنَةً عَلَيهِ، وَإِنَّمَا يَنفَعُهُ حُسنُ صَوتِهِ إِذَا خَشِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي السِّرِّ وَالعَلانِيَةِ، وَكَانَ مُرَادُهُ أَن يُستَمَعَ مِنهُ القُرآنُ لِيَنتَبِهَ أَهلُ الغَفلَةِ عَن غَفلَتِهِم، فَيَرغَبُوا فِيمَا رَغَّبَهُم اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَنتَهُوا عَمَّا نَهَاهُم عَنهُ. فَمَن كَانَت هَذِهِ صِفَتُهُ انتَفَعَ بِحُسنِ صَوتِهِ، وَانتَفَعَ بِهِ النَّاسُ»اهـ.

واحذره من الانغماس مع هؤلاء الشرذمة الذين لا يقدرون الله حق قدره فلا يوقرون كلامه وخرجوا به عن النهج القويم قاصدين إشغال المسلمين عن تدبر القرآن وتفهم معانيه بصرف جل اهتمامهم بضبط صوتهم على مقامة من مقامات أهل الغناء والمجون.

وأوصيه بقراءة الرسالة التالية:



رسالة
الثوري إلى عباد بن عباد

أخرج أبو حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ٨٦ ـ ٨٩):

عن الفريابي قال: كتب سفيان بن سعيد إلى عباد بن عباد فقال:

«من سفيان بن سعيد إلى عباد بن عباد، سلام عليك..

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله فإن اتقيت الله ﷻ كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا، سألت أن أكتب إليك كتابا أصف لك فيه خلالًا تصحب بها أهل زمانك وتؤدي إليهم ما يحق لهم عليك وتسأل الله ﷻ الذي لك، وقد سألت عن أمر جسيم، الناظرون فيه اليوم المقيمون به قليل، بل لا أعلم مكان أحد، وكيف يستطاع ذلك؟ وقد كدر هذا الزمان، إنه ليشتبه الحق والباطل، ولا ينجو من شره إلا من دعا بدعاء الغريق، فهل تعلم مكان أحد هكذا؟ وكان يقال: يوشك أن يأتي على الناس زمان لا تقرّ فيه عين حكيم، فعليك بتقوى الله ﷻ والزم العزلة واشتغل بنفسك واستأنس بكتاب الله ﷻ، واحذر الأمراء، وعليك بالفقراء والمساكين والدنو منهم فإن استطعت أن تأمر بخير في رفق فإن قبل منك حمدت الله ﷻ وإن رد عليك أقبلت على نفسك فإن لك فيها شغلًا، واحذر المنزلة وحبها فإن الزهد فيها أشد من الزهد في الدنيا.

وبلغني أن أصحاب محمد ﷺ كانوا يتعوذون أن يدركوا هذا الزمان

وكان لهم من العلم ما ليس لنا، فكيف بنا حين أدركنا على قلة علم وبصر وقلة صبر وقلة أعوان على الخير مع كدر من الزمان وفساد من الناس.

وعليك بالأمر الأول والتمسك به وعليك بالخمول فإن هذا زمان خمول وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إياكم والطمع فإن الطمع فقر واليأس غنى وفي العزلة راحة من خلاط السوء وكان سعيد بن المسيب يقول: العزلة عبادة.

وكان الناس إذا التقوا انتفع بعضهم ببعض فأما اليوم فقد ذهب ذلك والنجاة في تركهم فيما نرى، وإياك والأمراء والدنو منهم وأن تخالطهم في شيء من الأشياء، وإياك أن تخدع فيقال لك: تشفع فترد عن مظلوم أو مظلمة ـ فإن تلك خدعة إبليس وإنما اتخذها فجار القراء سلما.

وكان يقال: اتقوا فتنة العابد الجاهل وفتنة العالم الفاجر فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون.

وما كفيت المسألة والفتيا فاغتنم ذلك ولا تنافسهم، وإياك أن تكون ممن يحب أن يعمل بقوله وينشر قوله أو يسمع منه، وإياك وحب الرياسة فإن من الناس من تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة، واحذر الرياء فإن الرياء أخفى من دبيب النمل.

وقال حذيفة: سيأتي على الناس زمان يعرض على الرجل الخير والشر فلا يدري أيما يركب.

وقد ذكر عن رسول الله ﷺ قال: لا تزال يد الله عز وجل على هذه الأمة وفي كنفه وفي جواره وجناحه ما لم يمل قراؤهم إلى أمرائهم وما لم يبر خيارهم أشرارهم وما لم يعظم أبرارهم فجارهم فإذا فعلوا ذلك رفعها عنهم وقذف في قلوبهم الرعب وانزل بهم الفاقة وسلط عليهم جبابرتهم فساموهم

سوء العذاب، وقال: إذا كان ذلك لا يأتيهم أمر يضجون منه إلا أردفه بآخر يشغلهم عن ذلك.

فليكن الموت من شأنك ومن بالك، واقل الأمل، وأكثر ذكر الموت، فإنك إن اكثرت ذكر الموت هان عليك أمر دنياك، وقال عمر: أكثروا ذكر الموت فإنكم إن ذكرتموه في كثير قلله، وإن ذكرتموه في قليل كثره، واعلموا أنه قدحان للرجل يشتهي الموت.

أعاذنا الله وإياك من المهالك وسلك بنا وبك سبيل الطاعة»اهـ.



الخاتمة

وفي ختام هذا البحث أوصي قارئ القرآن ببعض الوصايا:

١ ـ الاستقامة على العقيدة الصحيحة بأن تكون على عقيدة السلف الصالح بفهم الأصحاب.

٢ ـ الاستقامة على منهاج السلف الصالح في فهم نصوص الوحيين الكتاب والسنة.

٣ ـ البعد عن مناهج أهل البدع من الحزبين والقطبيين والسروريين وغيرهم.

٤ ـ البعد عن التكلف كل التكلف في القراءة وغيرها فهذا مما كرهه السلف وعابه ولقد حذر السلف من المتكلفين.

٥ ـ البعد عن التغني بالقرآن بألحان الغناء أو ما يسمى بالمقامات الموسيقية.

٦ ـ البعد عن التحزن المتكلف فيه غير الطبع حتى لا تصل إلى النوح.

٧ ـ لا يكن همك كثرة الرواية بل يكن همك الإتقان والتدبر والعمل بأحكام القرآن حتى لا تكون مقيما للحروف مضيعا للأحكام.

٨ ـ ألا تتكبر على إخوانك الذين لم يصلوا إلى ما وصلت إليه في القراءة وألا تحتقرهم.

٩ ـ ألا تظن أنك بما حصلت عليه من إجازة في قراءة القرآن أنك وصلت إلى ما لم يصل إليه العلماء فلتحذر إذن أن ينطبق عليك قول الرسول ﷺ في حديث ذي الخُوَيصِرَةِ الذي رواه البخاري (٣٦١٠): «**يَقرَءُونَ القُرآنَ**

لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُم يَمرُقُونَ مِن الدِّينِ كَمَا يَمرُقُ السَّهمُ مِن الرَّمِيَّةِ» وقوله ﷺ: «**أَكثَرُ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا**»[1] رواه الطبراني في «الكبير» (٨٥١) وصححه الألباني انظر «السلسلة الصحيحة» رقم (٧٥٠).

١٠ ـ ألا تضيع وقتك كله في إقامة المباني دون المعاني فتقع تحت قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجُمُعَة: ٥].

١١ ـ لا تخضع صوتك بالقراءة كصوت النساء.

١٢ ـ لا تشغل نفسك بتقليد أصوات المشاهير لأن السلف كرهوا ذلك وعابوه.

١٣ ـ ولتحذر مما يسمى بالمزمار الذهبي ومزامير آل داود فلا تدخل في شيء منها فهم أهل ابتداع.

وأخيرًا.. أوصيه بتقوى الله في السر والعلن فهي وصية الله للأولين والآخرين قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النِّسَاء: ١٣١] وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على النبي الأمين وآله وصحبه أجمعين.

انتهى البحث ولله الحمد والمنة

كتبه

أبو أحمد ناصر بن عبد الله بن أحمد أبو غزالة

---

(١) وقال ابن بطة في «الإبانة» عند الكلام على الحديث (٩٤٤): «قال الشيخ عبيد الله بن محمد: فإن سأل سائل عن معنى هذا الحديث، وقال: لم خص القراء بالنفاق دون غيرهم؟ فالجواب عن ذلك: إن الرياء لا يكاد يوجد إلا في من نسب إلى التقوى، ولأن العامة والسوقة قد جهلوه، والمتحلين بحلية القراء قد حذقوه، والرياء هو النفاق، لأن المنافق هو الذي يسر خلاف ما يظهر، ويسر ـ هكذا والصحيح ويظهر ـ ضد ما يبطن، ويصف المحاسن بلسانه، ويخالفها بفعله، ويقول ما يعرف، ويأتي ما ينكر، ويترصد الغفلات لانتهاز الهفوات»اهـ.

المراجع والمصادر

أولًا: القرآن الكريم:

١ ـ مصحف المدينة للنشر الإلكتروني.

ثانيًا: كتب السنة والرجال:

٢ ـ **(الأدب المفرد)** لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ـ تحقيق: سمير بن أمين الزهيري ـ ط (١) ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

٣ ـ **(الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان)** للإمام أبي حاتم محمد بن حبان البستي ـ ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ـ تحقيق: شعيب الأرنؤوط ـ ط (١) ـ مؤسسة الرسالة ـ (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٤ ـ **(البحر الزخار المعروف بمسند البزار)** تحقيق: د/ محفوظ الرحمن زين الله ـ ط(١) ـ مكتبة العلوم والحكم ـ (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م).

٥ ـ (تقريب التهذيب) للحافظ أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني ـ تحقيق محمد عوامة ـ ط (٣) ـ دار الرشيد ـ سوريا ـ (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

٦ ـ **(جامع الأحاديث)** (الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير) للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ جمع وترتيب/ عباس أحمد صقر وأحمد عبد الجواد ـ دار الفكر ـ بيروت (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

٧ ـ **(الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)** لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ـ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ـ ط (١) ـ المكتبة السلفية ـ (١٤٠٠هـ).

٨ ـ **(حلية الأولياء وطبقات الأصفياء)** لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ـ ط(١) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م).

٩ ـ **(الروض الداني إلى المعجم الصغير)** للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ـ تحقيق: محمد شكور محمرد الحاج أمرير ـ ط (١) ـ المكتب الإسلامي ودار عمار ـ (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

١٠ ـ **(سلسلة الأحاديث الصحيحة)** لمحدث الشام محمد ناصر الدين الألباني ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م).

١١ ـ **(سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة)** لمحدث الشام محمد ناصر الدين الألباني ـ ط(١) للطبعة الجديدة ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

١٢ ـ **(سنن أبي داود)** للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني اعتنى به فريق دار الأفكار الدولية ـ طبع على نفقة: محمد بن صالح الراجحي بدون تاريخ.

١٣ ـ **(سنن ابن ماجه)** للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه ـ حكم على أحاديثه الألباني واعتنى به مشهور بن حسن آل سليمان ـ ط (١) ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ بدون تاريخ.

١٤ ـ **(سنن النسائي)** للإمام أبي عبد الرحمن شعيب بن علي بن بحر النسائي بشرح جلال الدين السيوطي وحاشية السندي ـ تحقيق لجنة مكتب تحقيق التراث الإسلامي ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ بدون تاريخ.

١٥ ـ **(شعب الإيمان)** للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول ـ ط (١) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م).

١٦ ـ **(الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية)** محمد بن عيسى بن سورة الترمذي أبو عيسى ـ تحقيق سيد عباس الجليمي ط (١) ـ المكتبة التجارية ـ مكة (١٤١٣هـ ـ١٩٩٣م).

١٧ ـ **(صحيح ابن خزيمة)** للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري ـ تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي المكتب الإسلامي ـ (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م).

١٨ ـ **(صحيح الجامع الصغير وزيادته)** لمحدث الشام محمد ناصر الدين الألباني ـ ط(٣) ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ودمشق ـ (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

١٩ ـ **(صحيح سنن أبي داود)** لمحدث الشام محمد ناصر الدين الألباني ط (١) للطبعة الجديدة ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

٢٠ ـ (**صحيح سنن ابن ماجه**) لمحدث الشام محمد ناصر الدين الألباني ـ ط (١) للطبعة الجديدة مكتبة المعارف ـ الرياض ـ (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م).

٢١ ـ (**صحيح سنن النسائي**) لمحدث الشام محمد ناصر الدين الألباني ـ ط (١) للطبعة الجديدة مكتبة المعارف ـ الرياض ـ (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

٢٢ ـ (**صحيح مسلم**) لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري أبو صهيب الكرمي بيت الأفكار الدولية ـ (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

٢٣ ـ (**ضعيف سنن أبي داود**) لمحدث الشام محمد ناصر الدين الألباني ـ ط (١) للطبعة الجديدة مكتبة المعارف ـ الرياض ـ (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

٢٤ ـ (**ضعيف سنن ابن ماجه**) لمحدث الشام محمد ناصر الدين الألباني ط (١) للطبعة الجديدة مكتبة المعارف ـ الرياض ـ (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م).

٢٥ ـ (**ضعيف سنن النسائي**) لمحدث الشام محمد ناصر الدين الألباني ط (١) للطبعة الجديدة مكتبة المعارف ـ الرياض ـ (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

٢٦ ـ (طبقات الشافعية الكبرى) لأبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ـ تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي ـ دار إحياء الكتب العربية.

٢٧ ـ (كتاب الجرح والتّعديل) للإمام الحافظ أبي محمّد عبد الرّحمن بن أبي حاتم محمّد بن إدريس بن المنذر الحنظليّ الرازي ط(١) ـ دار الكتب العلمية (١٢٧١هـ ـ ١٩٥٢م).

٢٨ ـ (**كتاب الطبقات الكبير**) للإمام محمد بن سعد بن منيع الزهري ـ تحقيق د. علي محمد عمر ط (١) ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١ م).

٢٩ ـ «كتاب الفوائد (الغيلانيات») لأبي بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدوَيه البغدادي الشافعي البزّاز ـ تحقيق: حلمي كامل أسعد عبد الهادي ـ ط(١) ـ دار ابن الجوزي ـ الرياض ـ (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م).

٣٠ ـ (**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** (لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ـ تحقيق: حسين سليم أسد الداراني ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق.

٣١ ـ (**المستدرك على الصحيحين**) للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري وبذيله تتبع أوهام الحاكم للشيخ مقبل الوادعي ـ ط (١) ـ دار الحرمين ـ القاهرة (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م).

٣٢ ـ (**المسند**) الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل ـ أشرف على التحقيق: شعيب الأرنؤوط ـ ط (١) ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٣٣ ـ (**مسند أبي عوانة**) للإمام أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الأسفرائني ـ تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي ـ ط (١) ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

٣٤ ـ (**مسند أبي يعلى**) للحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي ـ تحقيق: حسين سليم أسد ـ ط (١) ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق ـ (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

٣٥ ـ (**مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي**) لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام الدارمي، التميمي تحقيق: حسين سليم أسد الداراني ـ ط (١) ـ دار المغني ـ (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م).

٣٦ ـ (**مسند الحميدي**) للإمام أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي ـ تحقيق: حسين سليم أسد ـ ط (١) ـ دار السقا ـ دمشق (١٩٩٦م).

٣٧ ـ (**مشكاة المصابيح**) للإمام محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ـ تحقيق: محدث الشام محمد ناصر الدين الألباني ـ ط (٢) ـ المكتب الإسلامي ـ (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

٣٨ ـ (**المصنف**) لأبي بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أبي شيبة ـ تحقيق د. حمد بن عبد الله الجمعة ومحمد بن إبراهيم الحيدان ـ ط (١) ـ مكتبة الرشد ناشرون ـ الرياض ـ(١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م).

٣٩ ـ (**المصنف**) للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ـ تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ـ ط (٢) ـ توزيع المكتب الإسلامي ـ (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

٤٠ ـ (**المعجم الأوسط**) للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ـ تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ـ ط(١) ـ مكتبة دار الحرمين ـ القاهرة (١٤١٥هـ١٩٩٥م).

٤١ ـ (**المعجم الكبير**) للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ـ تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ـ ط (٢) ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م).

٤٢ ـ (**معرفة السنن والآثار**) لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ـ تحقيق: د .عبد المعطي أمين قلعجي ـ دار الوعي ودار الوفاء ودار قتيبة.

٤٣ ـ (**الموطأ**) للإمام مالك بن أنس ـ ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي ـ ط (٤) ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ (١٤١٩هـ ـ١٩٩٩م).

٤٤ ـ (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) للحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ تحقيق علي البجاوي دار المعرفة ـ بيروت ـ بدون تاريخ.

كتب شروح السنة:

٤٥ ـ (**إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري**) للإمام أحمد بن محمد الخطيب القسطلاني وبهامشه صحيح مسلم وشرح النووي ـ ط (٧) ـ المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ـ (١٣٢٣هـ).

٤٦ ـ (**الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج**) للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ تحقيق: الحويني ـ ط (١) ـ دار ابن عفان ـ السعودية ـ(١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م).

٤٧ ـ (**السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج**) لأبي الطيب صديق حسن خان البخاري ـ تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ـ طبع على نفقة الشئون الدينية بقطر.

٤٨ ـ (**شرح السنة**) للإمام البغوي ـ تحقيق: زهير الشاويش وشعيب الأرناؤط ـ المكتب الإسلامي.

٤٩ ـ (**شرح سنن أبي داود**) للإمام أبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني تحقيق: أبي المنذر خالد بن إبراهيم المصري ـ ط (١) ـ مكتبة الرشد ـ الرياض ـ (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م).

٥٠ ـ (**شرح صحيح البخاري**) لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي ـ تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم ـ مكتبة الرشد ـ بالرياض.

٥١ ـ (**شرح صحيح مسلم**) لأبي زكريا النووي ـ ط (٢) ـ مؤسسة قرطبة ـ (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

٥٢ ـ (**شرح مشكل الآثار**) للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ـ تحقيق: شعيب الأرنؤوط ـ ط (١)ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م).

٥٣ ـ **(صحيح أبي عبد الله البخاري بشرح الكرماني)** المسمى بالكواكب الدراري لشمس الدين محمد بن يوسف بن على بن سعيد الكرماني ـ ط (٢) ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م).

٥٤ ـ **(عون المعبود شرح سنن أبي داود)** لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي مع شرح ابن القيم ـ تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان ـ ط (٢) ـ المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة ـ (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م).

٥٥ ـ **(غريب الحديث)** لأبي عبيد بن سلام ـ ط (٢) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م).

٥٦ ـ (غريب الحديث) لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي ـ تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ (١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م).

٥٧ ـ **(فتح الباري بشرح صحيح البخاري)** للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي ـ دار المعرفة ـ بيروت (١٣٧٩هـ).

٥٨ ـ **(فتح الباري بشرح صحيح البخاري)** لأبي الفرج ابن رجب الحتبلي ـ تحقيق لجنة ـ ط (١) ـ مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة المنورة ـ (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م).

٥٩ ـ **(الفجر الساطع على الصحيح الجامع)** محمد الفضيل بن الفاطمي الشبيهي الزرهوني ـ تحقيق: د. عبد الفتاح الزنيفي ـ مكتبة الرشد.

٦٠ ـ **(كشف المشكل من حديث الصحيحين)** للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ـ تحقيق: علي حسين البواب ـ دار الوطن ـ الرياض.

٦١ ـ **(المعتصر من المختصر من مشكل الآثار)** لخصه أبو المحاسن يوسف بن موسي الحنفي ـ عالم الكتب ـ بيروت.

٦٢ ـ **(النهاية في غريب الحديث والأثر)** لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ـ تحقيق: محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

۞ كتب التفسير وعلوم القرآن:

٦٣ ـ **(أحكام القرآن)** للإمام أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ـ تحقيق: محمد عبد القادر عطا ـ ط (٣) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٢م).

٦٤ ـ (**أخلاقُ أهلِ القُرآنِ**) لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي ـ تحقيق: أبو محمد أحمد الألفِيّ السكندري ط (١) ـ دار الصَّفا والمَرْوَة ـ الإسكندرية ـ (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م).
٦٥ ـ (**التبيان في آداب حملة القرآن**) لأبي زكريا النووي ـ تحقيق محمد الحجار ـ ط(٤) ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م).
٦٦ ـ (**تفسير القرآن العظيم**) للإمام أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ـ تحقيق: سامي بن محمد السلامة ـ ط (٢) ـ دار طيبة ـ (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م).
٦٧ ـ (**تفسير المراغي**) للشيخ أحمد مصطفى المراغي ـ ط (١) ـ مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي ـ (١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م).
٦٨ ـ (فتحُ البيان في مقاصد القرآن) لأبي الطيب صديق خان بن حسن بن علي الحسيني القِنَّوجي البخاري ـ عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله ابن إبراهيم الأنصَاري ـ المَكتبة العصريَّة (صَيدًا ـ بَيروت) ـ (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).
٦٩ ـ (**فضائل القرآن**) للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام ـ تحقيق: أحمد بن عبد الواحد الخياطي ـ مطبعة فضالة ـ المغرب ـ (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م).
٧٠ ـ (فضائل القرآن) للحافظ أبي العباس جعفر بن محمد المستغفري ـ تحقيق: أحمد بن فارس السلوم ـ ط (١) ـ دار ابن حزم ـ (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م).
٧١ ـ (**فضائل القرآن**) للإمام أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير ـ تحقيق: الحويني ـ ط (١) ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ (١٤١٦هـ).

❁ كتب اللغة وعلومها:

٧٢ ـ (**تاج العروس من جواهر القاموس**) لأبي الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الملقّب بمرتضى الزَّبيدي تحقيق: عبد الستار أحمد فراج ـ مطبعة حكومة الكويت ـ (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م).
٧٣ ـ (**تهذيب اللغة**) لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ـ تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون ـ الدار المصرية.
٧٤ـ (**ديوان المعاني**) لأبي هلال العسكري شرحه وضبط نصه: أحمد حسن بسج ـ ط(١) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ (١٤١٤هـ ـ١٩٩٤م).

٧٥ ـ **(الزاهر في معاني كلمات الناس)** لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري د. حاتم صالح الضامن ـ ط (٢) ـ دار الشؤون والثقافة العامة ـ بغداد ـ (١٩٨٧م).

٧٦ ـ **(الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية)** إسماعيل بن حماد الجوهري ـ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ـ ط (٤) ـ دار العلم للملايين ـ بيروت (١٩٩٠م).

٧٧ ـ **(العين)** مرتبا على حروف المعجم للإمام الخليل بن أحمد الفراهيدي ـ ترتيب وتحقيق: د. عبد الحميد هنداوي ـ ط (١) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ (١٤٢٤هـ ـ٢٠٠٣م).

٧٨ ـ **(لسان العرب)** لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حقبة بن منظور ـ تحقيق: لجنة (عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي) دار المعارف القاهرة ـ وترقيم صفحات المجلدات متواصل.

٧٩ ـ **(المصباح المنير في غريب الشرح الكبير)** لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ـ المطبعة الميمنية ـ مصر.

۞ كتب الفقه الحنفي:

٨٠ ـ **(البحر الرائق شرح كنز الدقائق مع حاشية منحة الخالق)** لزين الدين بن إبراهيم بن محمد الشهير بابن نجيم ـ حاشية: محمد أمين الشهير بابن عابدين ـ ط (١) ـ المطبعة العلمية.

٨١ ـ (البناية شرح الهداية) لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى ـ بأعلى الصفحات **(الهداية)** لبرهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني ـ ط (١) دار الكتب العلمية ـ ببيروت (١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠ م).

٨٢ـ (**تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلبِيّ**) لفخر الدين عثمان بن علي بن محجن البارعي الزيلعي الحنفي ـ حاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد الشِّلبِيُّ ـ ط(١) المطبعة الكبرى الأميرية ـ بولاق ـ القاهرة ـ (١٣١٣هـ).

٨٣ ـ **(شرح فتح القدير على الهداية)** لكمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام ـ و**(الهداية)** لبرهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني ـ تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي ـ ط (١) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م).

٨٤ ـ (**المحيط البرهاني في الفقه النعماني**) لأبي المعالي محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن مازة البخاري ـ تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي ـ ط (١) ـ دار الكتب العلمية ـ (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م).

۞ كتب الفقه المالكي:

٨٥ ـ (**البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة**) لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ـ تحقيق: د. محمد حجي وآخرون ـ ط(٢) ـ دار الغرب الإسلامي بيروت ـ (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٨٦ ـ (**الشرح الكبير**) لأبي البركات أحمد بن محمد العدوي، الشهير بالدردير وعليه (**حاشية الدسوقي**) للشيخ محمد عرفة الدسوقي ـ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة.

٨٧ ـ (**الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني**) للشيخ أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفراوي الأزهري المالكي ـ تحقيق: عبد الوارث محمد علي ـ ط(١) ـ دار الكتب العلمية ـ (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

٨٨ ـ (**متن الرسالة**) لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي القيرواني المالكي ـ المكتبة الثقافية ـ بيروت.

٨٩ ـ (**مواهب الجليل لشرح مختصر خليل**) لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي المعروف بالحطاب الرعيني ـ تحقيق: زكريا عميرات ـ ط (١) ـ دار الكتب العلمية ـ (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م).

۞ كتب الفقه الشافعي:

٩٠ ـ (**الأم**) للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي القرشي المطلبي ـ اعتنى به: حسان عبد المنان ـ بيت الأفكار الدولية ـ الرياض.

٩١ ـ (**حاشية البجيرمي على الخطيب**) للشيخ سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي الشافعي ـ ط(١) ـ دار الكتب العلمية ـ (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م).

٩٢ ـ (**الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي**) للإمام أبي الحسن علي بن محمد ابن حبيب الماوردي البصري ـ تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ـ ط (١) ـ دار الكتب العلمية ـ (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

٩٣ ـ (**روضة الطالبين**) لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي ـ تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ـ طبعة خاصة دار عالم الكتب ـ الرياض ـ (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م).

٩٤ ـ (**كتاب المجموع شرح المهذب**) لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي ـ حققه وأكمله: محمد نجيب المطيعي ـ مكتبة الإرشاد ـ جدة.

٩٥ ـ (**المهذب في فقه الإمام الشافعي**) للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي ـ تحقيق: زكريا عميرات ـ ط (١) دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م).

كتب الفقه الحنبلي:

٩٦ ـ (**الإقناع**) مطبوع مع (**كشاف القناع عن متن الإقناع**).

٩٧ ـ (**كشاف القناع عن متن الإقناع**) منصور بن يونس بن إدريس البهوتي ـ تحقيق: محمد أمين الضناوي ـ ط (١) ـ عالم الكتب ـ (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م).

٩٨ ـ (**مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله**) تحقيق: زهير الشاويش ـ ط (١) ـ المكتب الإسلامي ـ (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م).

٩٨ ـ (**مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى**) للشيخ مصطفى السيوطي الرحيباني ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق.

١٠٠ ـ(**المقنع والشرح الكبير والإنصاف**) لأبي محمد ابن قدامة وأبي الفرج ابن قدامة والمرداوي ـ تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي و د. عبد الفتاح الحلو ـ ط (١) ـ هجر للطباعة ـ جيزة ـ (١٤١٥هـ ١٩٩٥م).

۞ كتب الفقه العام والفتاوى:

١٠١ ـ(**جامع المسائل والرسائل**) لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ـ تحقيق: محمد عزير شمس ـ إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ ط (١) ـ دار عالم الفوائد (١٤٢٢هـ).

١٠٢ ـ(**فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**) جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش ـ دار المؤيد.

١٠٣ ـ(**الفقه الإسلامي وأدلته**) للدكتور: وهبه الزحيلي ـ ط (٢) ـ دار الفكر ـ (١٤٠٥ـ ١٩٨٥م).

١٠٤ ـ(**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**) للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ جمع وترتيب: د. محمد بن سعد الشويعر.

١٠٥ ـ(**الموسوعة الفقهية الكويتية**) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ط (٢) ـ (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م).

❁ كتب القراءات والتجويد:

١٠٦ ـ(**الإقناع في القراءات السبع**) للإمام أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري المعروف بابن الباذش ـ تحقيق: د. عبد المجيد قطامش ـ ط (١) ـ دار الفكر ـ دمشق (١٤٠٣هـ).

١٠٧ ـ(**التمهيد في التجويد**) للإمام محمد بن محمد بن الجزري ـ تحقيق: علي حسين البواب ـ ط (١) مكتبة المعارف ـ الرياض ـ (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

١٠٨ ـ(**التمهيد في معرفة التجويد**) لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار ـ تحقيق: جمال شرف الدين ومجدي فتحي السيد ـ دار الصحابة ـ طنطا ـ (١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م).

١٠٩ ـ(**عقود الجمان في تجويد القرآن**) للإمام أبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجَعبري ـ مخطوط بدار الكتب المصرية.

١١٠ ـ(**المفيد في شرح عمدة المفيد في النظم والتجويد**) للإمام حسن بن قاسم بن الله بن علي المرادي المعروف بابن أم قاسم ـ تحقيق: جمال السيد رفاعي (هداه الله) ـ أولاد الشيخ ـ الجيزة.

١١١ ـ(**المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية**) للإمام ملا علي بن سلطان محمد القاري وبهامشها شرح زكريا الأنصاري ـ الطبعة الآخيرة ـ مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي ـ القاهرة ـ (١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م).

١١٢ ـ(**النشر في القراءات العشر**) للإمام محمد بن محمد بن الجزري ـ تقديم: علي محمد الضباع ـ تخريج: زكريا عميرات ـ ط(٣) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م).

❁ كتب متنوعة:

١١٣ ـ(**الآداب الشرعية**) للإمام عبد الله محمد بن مفلح المقدسي ـ تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام ـ ط (٣) ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م).

١١٤ ـ(**أحاديث في ذم الكلام وأهله**) للإمام أبي الفضل المقرئ ـ تحقيق: د. ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع ـ ط (١) ـ دار أطلس ـ الرياض ـ (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م).

١١٥ ـ(**أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**) لأبي عبد الله محمد الفاكهي ـ تحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ـ ط (٢) ـ دار خضر ـ بيروت ـ (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

١١٦ـ (**إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**) لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ـ تخريج: محمد ناصر الدين الألباني ـ تحقيق: علي بن حسن الحلبي ـ دار ابن الجوزي.

١١٧ ـ(**الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر**) للحافظ أبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال تحقيق: مشهور حسن وهشام السقا ـ ط (١) ـ المكتب الإسلامي ودار عمار ـ (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م).

١١٨ ـ(**البدع والنهي عنها**) للإمام محمد بن وضاح القرطبي ـ تحقيق: محمد أحمد دهمان ـ ط (١) ـ دار الصفا ـ (١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م).

١١٩ـ (**تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري**) لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ـ تحقيق: محمد علي عجال ـ ط(١) ـ مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة المنورة ـ (١٤١٧).

١٢٠ ـ (**تهذيب عقيدة أهل السنة**).

١٢١ ـ (**الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**) للخطيب البغدادي ـ تحقيق: د. محمود الطحان ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

١٢٢ ـ(جامع المسائل) ـ لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ـ تحقيق: محمد عزير شمس ـ إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ ط(١) ـ دار عالم الفوائد(١٤٢٢هـ).

١٢٣ ـ(**الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي**) لأبي الفرج النهرواني. تحقيق د. محمد مرسي الخولي ـ ط (١) ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ (١٤١٣هـ ـ١٩٩٣م).

١٢٤ ـ(**الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**) للإمام أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني ـ تحقيق: محمد بن رَبيع بن هادي المدخلي ومحمد بن محمود أبو رحيم ـ دار الراية.

١٢٥ ـ(**خلق أفعال العباد و الرد على الجهمية وأصحاب التعطيل**) لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ـ تحقيق: فهد بن سليمان الفهيد ـ ط (١) ـ دار أطلس الخضراء ـ(١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م).

١٢٦ ـ(**ذم الكلام وأهله**) لأبي إسماعيل الهروي ـ تحقيق: عبد الله الأنصاري ـ مكتبة الغرباء الأثرية.

١٢٧ ـ(**رفع الإصر عن قضاة مصر**) لأحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ـ تحقيق: علي محمد عمر ـ مكتبة الخانجي ـ (١٤١٨هـ ـ ١٩٨٨م).

١٢٨ ـ(**زاد المعاد في هدي خير العباد**) للحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي المشهور بابن القيم الجوزية ـ تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط ـ ط (٧٢) ـ مؤسسة الرسالة ـ (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م).

١٢٩ ـ(**السنة**) لعبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني ـ ط (١) ـ دار ابن القيم ـ الدمام (١٤٠٦هـ).

١٣٠ ـ (**الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة**) للإمام أبي عبد الله عبيد الله بن بطة العكبري ـ تحقيق: د. رضا بن نعمان معطي ـ ط (١) ـ مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م).

١٣١ ـ(**صيد الخاطر**) للإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ـ تحقيق: د. سيد محمد سيد وسيد إبراهيم ـ ط(٢) دار الحديث ـ القاهرة ـ (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م).

١٣٢ ـ (**العبودية**) لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ـ تحقيق: الدكتور محمد بن سعيد رسلان.

١٣٣ ـ(**العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**) لأبي الحسن ابن رشيق القيرواني الأزدي ـ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ ط(٥) ـ دار الجيل ـ (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م).

١٣٤ ـ(**الفتاوى الكبرى**) لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ـ تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ـ مصطفى عبدالقادر عطا ـ ط(١) ـ دار الكتب العلمية ـ (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م).

١٣٥ ـ(**كتاب الصيام**) لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي ـ تحقيق: عبد الوكيل الندوي ـ ط (١) الدار السلفية ـ (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

١٣٦ ـ(**كتاب قيام رمضان**) للحافظ أبي عبد الله محمد بن نصر المروزي ـ اختصره: أحمد بن علي المقريزي ـ تحقيق: د. محمد أحمد عاشور وجمال عبد المنعم الكومي ـ دار الاعتصام.

١٣٧ـ (**لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**) لشمس الدين أبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ـ (ط٢) ـ مؤسسة الخافقين ومكتبتها ـ دمشق ـ (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

١٣٨ ـ(**مجلة جامعة أم القرى**) العدد ١٩.

١٣٩ـ (**مجموعة الرسائل والمسائل**) لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ـ حققه وعلق عليه: السيد محمد رشيد رضا ـ لجنة التراث العربي.

١٤٠ ـ (**مجموعة الفتاوى**) لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ـ تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار ـ ط (٣)ـ دار الوفاء ـ (١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م).

١٤١ ـ(**مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر**) للحافظ أبي عبد الله محمد بن نصر المروزي ـ اختصره: أبو العباس أحمد بن علي المقريزي ـ ط (١) ـ حديث اكادمي باكستان ـ (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

١٤٢ ـ(**مختصر الحوادث والبدع**) للإمام أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي ـ تحقيق: علي بن حسن الحلبي ـ دار ابن الجوزي ـ (١٤١٤هـ ـ١٩٩٣م).

١٤٣ ـ(**مختصر منهاج القاصدين**) للإمام أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي تحقيق: محمد وهبي سليمان وعلي عبد الحميد أبو الخير ـ ط (٣) ـ دار الخير ـ (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م).

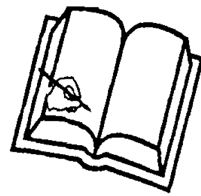
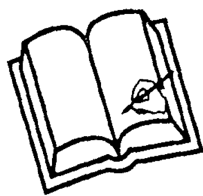
١٤٥ ـ(**المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**) د. جواد علي ـ ط (٢) ـ ساعدت على نشره جامعة بغداد (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).

١٤٦ ـ(**المقدمة**) لابن خلدون ـ مطبعة العامرة على نفقة مدير إدارة المطبعة الشرقية (١٣٢٧هـ).

١٤٧ ـ(**منهاج السنة النبوية**) لشيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ـ تحقيق: د. محمد رشاد سالم ـ مؤسسة قرطبة ـ (١٤٠٦هـ ١٩٨٦م).

١٤٨ ـ(**من كتاب المعارف**) لابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري ـ اختيار: منير عبد القادر حديد ـ وزارة الثقافة ـ دمشق.
١٤٩ ـ(**نهاية الأرب في فنون الأدب**) لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ـ تحقيق مجموعة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م).
١٥٠ ـ(**نهاية الرتبة في طلب الحسبة**) لعبد الرحمن بن نصر الشيزري ـ تحقيق: محمد مصطفى زيادة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ (١٩٤٦م).



فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
۞ مقدمة	٥
نَشأَةُ القِراءَةِ بالأَلحانِ	٩
المقدمة الأولى: (القرآن كلام الله)	١٢
المقدمة الثانية: (قراءة القرآن عبادة)	١٧
المقدمة الثالثة: (شروط قبول العمل الصالح)	١٩
المقدمة الرابعة: (السبيل إلى فهم النصوص الشرعية)	٢٢
الأحاديث الواردة في التغني بالقرآن	٢٩
المقصود بالتغني	٣١
خلاصة: تأويل التغني الوارد في الأحاديث	٥١
الأحاديث الواردة في تحسين الصوت بالقرآن	٥٦
المقصود بتحسين الصوت وتزيين القراءة	٥٨
التحذير من اتخاذ القرآن مزامير	٦٥
الأحاديث الواردة في الترجيع	٦٨
الأحاديث الواردة في صوت أبي موسي الأشعري رضي الله عنه	٧٤
تأويل الأحاديث الواردة في شأن أبي موسي رضي الله عنه	٧٥
أقوال السلف الصالح في التغني في قراءة القرآن	٧٨
مناقشة أقوال القائلين بالجواز	٨٤
أقوال أئمة المذاهب الأربعة	٩٢

الموضوع	الصفحة
المقصود بقراءة الألحان عند السلف	١٠٣
حكم القراءة بالمقامات والأوزان الموسيقية	١٠٦
أقوال أهل العلم	١١٢
أقوال أئمة القراءة	١٢٨
نصيحة لمن رزقه الله الصوت الحسن	١٣٤
رسالة الثوري إلى عباد بن عباد	١٣٥
❁ **الخاتمة**	١٣٩
المراجع والمصادر	١٤١
❁ **فهرس المحتويات**	١٥٧

